المختارات من المناسبات بين السور والآيات

جمع وإعداد

ابتسام عمر العمودي

معلمة في مدرسة دار الهدى لتحفيظ القرآن الكريم بجدة



مركز تدبر للدراسات والاستشارات

المختارات من المناسبات
بين السور والآيات

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

الرياض . الدائري الشرقي . مخرج ١٥

هاتف ٢٥٤٩٩٩٣ ٠١١ . تحويلة ٣٣٣

ناسوخ ٢٥٤٩٩٩٦ ٠١١

ص.ب.٩٣٤٠٤ الرمز: ١١٦٨٤

البريد الحاسوبي: tadabbor@tadabbor.com

www.tadabbor.com

. . . .

ح مركز تدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، ١٤٣٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمودي، ابتسام عمر

المختارات من المناسبات بين السور والآيات. / ابتسام عمر العمودي – الرياض، ١٤٣٦هـ

٢٦٥ص؛ ١٧ × ٢٢سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٠٣٦٤-٦-٣

١- القرآن – السور والآيات ٢- سورة البقرة /أ. العنوان

ديوي ٢٢١,٢٥ ١٤٣٦/٤٢٤

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٤٢٤

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٠٣٦٤-٦-٣


بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾

(يونس: ٥٨)

الحمد لله حمدًا كثيرًا كما يحب ربي ويرضى، اللّٰهُمَّ لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، حبيبنا وشفيعنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين... أما بعد:

فهذا العمل حلم.. أمنية.. فكرة كانت تراودني.. لم أظن أنها ستتحقق في يوم من الأيام.. لكن إرادة الله وتقديره فوق كل شيء.. وهاهي بفضل الله وعونه تصبح حقيقة، وترى النور..

* * * * * * *

فكرة بدأت بتجميع مناسبات الآيات المنثورة في كتب التفاسير.

بدأت باستخراجها من ثلاثة كتب، ثم نمت وترعرعت برعاية الرحمن حتى أصبحت من عشرة كتب بفضل من الله ومنّة.

وكانت الفكرة تهدف لجمع المناسبات في ملزمة؛ لنستفيد منها في مدرستنا دار الهدى لتحفيظ القرآن الكريم بجدة؛ وذلك لعلمي من واقع خبرتي معلمة حافظات ما يقارب خمسة عشر عاما بالحاجة الشديدة لهذه المناسبات في دور التحفيظ خاصة، ولأهل القرآن عامة.

ولما بدأت بالجمع والكتابة، ورأيت ما أنعم الله به من ثمرة مهمة؛ انتابني الحماس لإخراج هذا العمل في كتاب يعمّ نفعه لكل أهل القرآن؛ فازددت بهذا نشاطًا واجتهادًا في البحث والكتابة، فما كان من صواب، فهو توفيق محض من الله ﷻ ، وما كان من نقص وسهو، فجهد البشر لا يخلو من ذلك، وما توفيقي إلا بالله.

وفي الختام:

لا أنسى أن أتوجه بالشكر الجزيل لأخوات وطالبات فُضليات كن خير معين لي بعد عون الله ﷻ في إتمام هذا العمل، فلا يشكر الله من لا يشكر الناس.

أخص منهن من كانت لهن يد في الكتابة والتنسيق بكل حب وإخلاص وجهد كبير الطالبتان العزيزتان: رباب الشرجي، وعائشة صديق.

والشكر موصول للأختين العزيزتين: صباح الشريف، وذكرى بن شملة.

والعديدات غيرهن، بارك الله فيهن، وتقبل منهن صالح أعمالهن، وجزاهن عني خير الجزاء.

وهذا الجهد جهد أَمَة ضعيفة فقيرة لن يخلو من السهو والنقص، أرجو من الله أن ينفع به ويجعله مباركا، وكلي أمل في الله الودود اللطيف، القريب المجيب، الحميد المجيد أن يتقبل هذا العمل وينفع به، ويبارك فيه، راجية ومبتهلة إلى الله العزيز الحكيم أن أجده في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم..

اللّٰهُمَّ علمنا ما ينفعنا .. وانفعنا بما علمتنا .. وزدنا علمًا..

شاكرة ومقدرة لكل من له إضافة يفيدني بها على بريدي ..

والحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله..

* * * * * * *

ابتسام عمر عبود العمودي

المملكة العربية السعودية / جدة

ebtesam١٤٣٤٦٩@gmail.com

المنهج المتبع في البحث عن المناسبات

أولًا: اهتممت بالبحث عن المناسبات الغير متكلفة، التي يسهل استحضارها عند سرد الآيات خاصة لحفظة القرآن؛ حتى تعينهم على ربط الآيات وإتقان محفوظهم.

ثانيًا: استبعدت المناسبات التي تربط بين الآية وبين آيات سابقة بعدة أسطر تزيد عن الصفحة.

ثالثًا: اجتهدت أن أعيد صياغة بعض المناسبات بعبارات أسهل؛ ليسهل فهمها لكل قارئ، وقيدت ذلك في موضعه.

رابعًا: حرصت أن أعزو كل مناسبة لقائلها حتى وإن كان أكثر من واحد.

خامسًا: هناك عدد محدود من المناسبات -لا يتجاوز عشر مناسبات- استخرجتها من أوراقي القديمة، وللأسف لم تكن معزوة لقائلها.

سادسًا: لم يكن هدفي أن أستخرج مناسبة لكل آية، ولا أرى ذلك صوابًا والله أعلم.

سابعًا: لم أقيد مناسبات للقصص؛ لقناعتي أن القصة تترابط بأحداثها، ولا تحتاج لمناسبات تربطها، وكذلك حزب المفصل؛ فإن السورة كلما قصرت كلما كانت موضوعاتها أقل، وكان اتصال آياتها ببعضها أوضح.

ثامنًا: رتبت المناسبات حسب ترتيب السور في القرآن الكريم، ورتبت الآي بحسب ترتيبها في السورة؛ ليسهل الرجوع إليها.

تاسعًا: كتبت مقدمة عن علم المناسبات؛ حتى تتم الفائدة لمن لم يطلع سابقًا على هذا العلم القيِّم المهم.

عاشرًا: المناسبات بين السور، وبين السورة وخاتمتها، استخرجتها من الكتب الآتية:

أ- البرهان في تناسب سور القرآن: أحمد بن إبراهيم الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب ١٤١٠هـ.

ب- أسرار ترتيب سور القرآن: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ ه)، المكتبة العصرية ١٤٣١ه.

ت- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ ه)، دار المنهاج/ الطبعة الأولى ١٤٢٦ه.

ث- التفسير الموضوعي: أ.د. مصطفى مسلم وآخرين، جامعة الشارقة/الطبعة الأولى ١٤٣١ه.

ج- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي حفظه الله، دار الفكر العربي/ الطبعة الثانية ١٤١٨ه.

الحادي عشر: جمعت المناسبات بين الآيات من عشرة كتب تفاسير- بفضل وتوفيق من الله ﷻ- وهي:

١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: محمود بن عمرو بن محمد الزمخشري (ت ٥٣٨ ه)، دار الكتاب العربي/ الطبعة الثالثة ١٤٠٧ه.

٢- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: الإمام فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بخطيب الري (ت ٦٠٦ ه)، دار إحياء التراث العربي/ الطبعة الثالثة ١٤٢٠ه.

٣- القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت ٧٧٤ ه)، دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى ١٤١٩ه.

٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: الإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر بن البقاعي (ت ٨٨٥ ه)، دار الكتاب الإسلامي.

٥- فتح القدير: الإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠ه)، دار ابن كثير/ الطبعة الأولى ١٤١٤ه.

٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٧ هـ)، دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ). مؤسسة الرسالة/الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٨- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣ هـ)، الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م.

٩- موضوعات سور القرآن الكريم: عبد الحميد محمود طهماز (ت ١٤٣١هـ).

١٠- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي حفظه الله، دار الفكر العربي/ الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

* * * * * * *

مقدمة في علم المناسبات

أولًا: تعريف علم المناسبات :

لغةً: المقاربة والمشاكلة. "ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها، عام أو خاص، عقلي أو حسي، وغير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم: كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين، ونحوه".[١]

اصطلاحًا: "هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه، وفي كتاب الله تعني: ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني: وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها".[٢]

ثانيًا: أهمية علم المناسبات:

١- "علم المناسبات بين سور القرآن الكريم أو بين الآيات في السورة الواحدة من العلوم الدقيقة التي يحتاج إلى فهم دقيق لمقاصد القرآن الكريم، وتذوق لنظم القرآن وبيانه المعجز، وإلى معايشة جو التنزيل، وكثيرًا ما يأتي إلى ذهن المفسر على شاكلة إشراقات فكرية أو روحية، وقد اعتبر بعض المفسرين أن نسبة هذا العلم من علم التفسير مثل نسبة علم البيان من علم النحو.

٢- هو علم يجعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بعناق بعض؛ فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء.

٣- علم تعرف منه تعليل ترتيب أجزاء القرآن، وهو سر البلاغة؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لما اقتضاه الحال.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي(٣/ ٣٧١).

(٢) مباحث في التفسير الموضوعي للدكتور مصطفى مسلم (٥٨).

٤- يقول الإمام البقاعي في تفسيره نظم الدرر: "وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن من اللب؛ وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين، أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب.. والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب".[١]

٥- قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: "المناسبة علم حسن لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع لأسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث؛ فضلًا عن أحسنه؛ فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة، في أحكام مختلفة، شرعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض". [٢]

ثالثًا: ظهوره وأهم المؤلفات فيه :

١- أول من أظهر علم المناسبات: هو الإمام أبو بكر النيسابوري المتوفى سنة ٣٢٤هـ، وكذلك أبو بكر العربي المالكي المتوفى سنة ٥٤٣هـ.

٢- ومن المكثرين في إيراد المناسبات بين الآيات الإمام فخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ في تفسيره المسمى بمفاتيح الغيب، وقال فيه: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط".[٣]

٣- وقد أفرده بالتصنيف الأستاذ أبو جعفر بن الزبير الأندلسي المتوفى سنة ٨٠٧ هـ في كتابه: البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن .

٤- وقد نص الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ في كتابه البرهان في علوم القرآن فصلًا خاصًا بمعرفة المناسبات بين الآيات، تحدث فيه عن أهمية هذا العلم وضرب أمثلة على المناسبات بين السور، وبين المناسبات في السورة الواحدة .

---

(١) المرجع السابق (٥٨-٥٩)

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٣٧٠).

(٣) مفاتيح الغيب (١١٠/١٠).

٥- ومن أوسع المراجع في هذا العلم كتاب: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥ هـ.

٦- وألّف الإمام السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ كتابًا خاصًا سماه: تناسق الدرر في تناسب السور.

٧- ومن العلماء المعاصرين الذين كتبوا في علم المناسبات الشيخ عبدالله محمد الصديق الغماري، كتب كتابًا سماه: جواهر البيان في تناسب سور القرآن، كما تحدث الشيخ محمد بن عبدالله دراز في كتابه النبأ العظيم عن المناسبات.[١]

٨- وأنوه لفائدة: بأن أكثر كتب التفاسير التي اعتنت بشأن المناسبات -فيما اطلعت عليه- هي أربعة كتب: تفسير الرازي، تفسير ابن عاشور، تفسير السعدي، وكتاب موضوعات سورة القرآن لطهماز.

رابعًا: أنواع المناسبات :

١) مناسبة بداية السورة مع خاتمتها.
٢) مناسبة خاتمة السورة ببداية السورة التي تليها.
٣) مناسبة مضمون السورة لمضمون السورة التي تليها.
٤) مناسبة اسم السورة لمضمونها.
٥) مناسبة مقاطع وآيات السورة الواحدة لبعضها.
٦) مناسبة افتتاح السورة بالحروف المقطعة لما داخلها.

"فإن كل سورة بدأت بحرف منها، فإن أكثر كلماتها وحروفها مماثل لها، كسورة (ق) تكررت فيها أكثر من عشر كلمات فيها حرف القاف، وقد تكرر في سورة (يونس) من الكلم الواقع فيها حرف الراء مائتان أو أكثر، واشتملت سورة (ص) على خصومات متعددة: خصومة النبي مع الكفار، الخصمين عند داوود عليه الصلاة والسلام، تخاصم

(١) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي (٦٦-٦٧).

أهل النار، تخاصم الملأ الأعلى، تخاصم إبليس في شأن آدم وفي شأن إغواء ذريته، وفي سورة (الأعراف) زيد فيها الصاد على (آلم)؛ لما فيها من شرح القصص، ولما فيها من ذكر (فلا يكن في صدرك حرج) ".[١]

"ولترتيب وضع السور في المصحف أسباب تبين أنه صادر عن عليم حكيم:

أ- كأن تكون بحسب الحروف المفتتحة بها السورة، كتتابع سور الحواميم، وكذلك الطواسيم، وكذلك الراءات ".[٢]

ب- أو تكون بحسب ترتيب نزولها من السماء كسورة الإسراء والسور الأربعة التي تليها، وكذلك في يونس وهود ويوسف فإنها نزلت بهذا الترتيب من اللوح المحفوظ، وقيل كذلك في الحواميم أنها نزلت جملة واحدة وغيرهم من السور.[٣]

* * * * * * *

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ٢٦٠).

(٢) المرجع السابق (٣/ ٣٨١).

(٣) نقلا عن كتاب: مباحث في التفسير الموضوعي، أ.د مصطفى مسلم.

المختارات من المناسبات

بين السور والآيات

سُورَةُ البَقَرَة

أولا: مناسبة بداية سورة البقرة لخاتمة سورة الفاتحة:

١) لما قال في سورة الفاتحة: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ ٦، قال في سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ ٢؛ دلالة على أن الهداية التي طلبوها هي في هذا الكتاب.[١]

٢) لما ذكر أصناف الناس الثلاثة في سورة الفاتحة (المؤمنون، اليهود، النصارى)، فصل الحديث عنهم في أول سورة البقرة.[٢]

ثانيا: مناسبة بداية سورة البقرة لخاتمتها:

١) بدأت بوصف الإيمان: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ ٤، وختمت به: ﴿ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ...﴾ ٢٨٥؛ فوافق آخرها لأولها من ذكر أوصاف المؤمنين ثم الإشارة إلى وصف الكافرين.[٣]

٢) بدأت بالحديث عن الإيمان بجميع الرسل وجميع الكتب، وختمت به.[٤]

---

(١) التفسير الموضوعي للدكتور مصطفى مسلم وآخرون (٣٧/١).

(٢) أسرار ترتيب سور القرآن للسيوطي (٢٤).

(٣) مراصد المطالع للسيوطي (٤٧).

(٤) التفسير الموضوعي (٣٥/١).

ثالثا: مناسبات الآيات:

١- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ البقرة:٦.

لما ذكر صفات المؤمنين، أتبعه هنا بذكر صفات الكافرين. (١)

وهذه عادة الله في سائر القرآن، إذا تحدث عن المؤمنين أتبعه بالحديث عن الكافرين؛ لتتم المقارنة بين الحالين. (٢)

٢- ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ البقرة:٨.

لما تقدم وصف المؤمنين في صدر السورة بأربع آيات، ثم عرَّف حال الكافرين بآيتين، شرع تعالى في بيان حال المنافقين، ولما كان أمرهم يشتبه على كثير من الناس؛ توسع في ذكرهم في ثمانية آيات بعدة صفات. (٣)

٣- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴾ البقرة:١١ .

لما أخبر تعالى عن بواطن المنافقين، أتبعه من الظاهر ما يدل عليه؛ فبيَّن أنهم إذا نهوا عن الفساد العام، ادَّعوا الصلاح العام. (٤)

٤- ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٍ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ البقرة:٢٣.

١) لما ذكر ﷻ إنزال المطر الذي به حياة الأرض وغذاء للأجسام، ذكر بعده إنزال القرآن الذي به حياة القلوب وغذاء الأرواح. (٥)

---

(١) الكشاف للزمخشري (٤٦/١)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٤١).

(٢) ذكر ذلك أكثر من عالم من علماء التفسير: كالرازي في مفاتيح الغيب (٢٨/ ٢٠٦) وابن عاشور في التحرير والتنوير (٥٨١/١) الألوسي في روح المعاني (٣١/١٤)(بتصرف).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨٧/١).

(٤) نظم الدرر للبقاعي (١١٠/١).

(٥) موضوعات سور القرآن لطهماز (٤٨/١) (بتصرف) .

٢) اعلم أنه سبحانه وتعالى لما أقام الدلائل القاهرة على إثبات الصانع وأبطل القول بالشريك؛ أعقبه بما يدل على النبوة. [١]

٥- ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ...﴾ البقرة:٢٥.

١) لما ذكر تعالى جزاء الكافرين سابقًا أعقبه هنا بذكر جزاء المؤمنين، وهذه من عادته سبحانه في سائر القرآن: ذكره الوعيد بعد الوعد والجنة بعدها النار.[٢]

٢) لما تكلم الله في التوحيد والنبوة، أتبعه بذكر المعاد وبيان عقاب الكافر وثواب المؤمن. [٣]

٦- ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ البقرة:٢٨.

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما ذكر سابقًا دلائل التوحيد والنبوة والمعاد، شرع من هذه الآية في شرح النعم التي عمّت جميع المكلفين وهي أربعة:

أولها: نعمة الإحياء المذكورة هنا.

وثانيها: نعمة الخلق: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة:٢٩.

---

(١)روح المعاني للألوسي (١٩٤/١)، تفسير القرآن العظيم (١٠٧/١)، التفسير الكبير للرازي (٣٤٧/٢) واللفظ له .

(٢) روح المعاني (٢٠٣/١)، تيسير الكريم الرحمن(٤٦)، تفسير القرآن العظيم (١١٢/١)، الكشاف (١٠٤/١)، فتح القدير للشوكاني (٦٤/١) واللفظ له.

(٣) التفسير الكبير (٣٥/٢).

وثالثها: كيفية خلق آدم واستخلافه في الأرض وتعليم الله إياه: ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ البقرة:٣٠.

ورابعها: أمر الله الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ البقرة:٣٤. (١)

٧- ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ البقرة:٣١.

لما كان قول الملائكة عليهم السلام فيه إشارة إلى فضلهم على الخليفة الذي يجعله الله في الأرض، أراد الله تعالى أن يبيِّن لهم من فضل آدم ما يعرفون به فضله، وكمال حكمة الله وعلمه.(٢)

٨- ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ البقرة:٣٩.

لما وعد الله متبع الهدى بالأمن من العذاب، أعقبه بذكر من أعد له العذاب الدائم. (٣)

٩- ﴿ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ البقرة:٤٢.

---

(١) السابق (٣٧٥/٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن(٤٨).

(٣) التفسير الكبير (٤٧٣/٣).

اعلم أن قوله سبحانه: ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمۡ ...﴾ البقرة:٤١ أمر بترك الكفر والضلال في أنفسهم، وقوله: ﴿ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ...﴾ البقرة:٤٢ أمر بترك الإغواء والإضلال لغيرهم.(١)

١٠- ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ البقرة:٤٣.

بعد دعوة القرآن لهم للإيمان وتحذيره إياهم من الكفر وكتمان الحق، دعاهم أيضًا إلى الانقياد لأحكام الإسلام وشرعه. (٢)

١١- ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾ البقرة:٤٥.

لما أمرهم الله بترك الضلال والتزام الشرائع الذي يأمرون الناس بها؛ وكان ذلك شاقًا عليهم، أرشدهم هنا إلى ما يعينهم على ذلك. (٣)

١٢- ﴿ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٌ﴾ البقرة:٤٩.

لما ذكر الله سابقًا نِعمه على بني إسرائيل إجمالا كقوله تعالى:﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ البقرة:٤٧، بدأ من هنا يفصل هذه النعم، فكانت هذه أولها.

ثانيًا: ﴿ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴾ البقرة:٥٠.

---

(١) السابق (٣/٤٨٥).

(٢) السابق (٣/٤٨٥)، موضوعات سور القرآن (١/٧١) واللفظ له .

(٣) روح المعاني (١/٢٥٠)، موضوعات سور القرآن (١/٧٣) (بتصرف).

ثالثًا: ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ البقرة:٥١.

رابعًا: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ البقرة:٥٣.

خامسًا: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ البقرة:٥٧.

سادسًا: ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ البقرة:٦٠.

وغيرها كثير مذكور في سورة الأعراف وغيرها. [١]

١٣- ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ البقرة:٦٥.

اعلم أنه تعالى لما عدد وجوه إنعامه على بني إسرائيل؛ ختم ذلك بشرح بعض ما وجه إليهم من التشديدات وهذه أولها ،وثانيها في قصة اختيار البقرة وغيرها. [٢]

١٤- ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة:٧٥.

---

(١) التفسير الكبير (٣/٥٠٤).

(٢) السابق (٣/٥٤٠).

بعدما ذكر الله ﷻ سابقًا قبائح اليهود في الأمم السابقة: باتخاذ العجل ونقض المواثيق وطلب رؤية الله جهرة؛ بدأ تعالى من هذه الآية بذكر قبائح اليهود وتعدادها في زمن محمد ﷺ:

١- ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ البقرة:٧٦

٢- ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ البقرة:٨٠.

٣- ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ البقرة:٨٩.

٤- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ البقرة:٩١.

٥- ﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ البقرة:٩٧.

٦- ﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ البقرة:١٠٠.

٧- ﴿وَٱتَّبَعُوا مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ ...﴾ البقرة:١٠٢.

٨- ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ البقرة:١١٦.

٩- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ البقرة:١١٨.[١]

١٥- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ البقرة:٨٢.

لما ذكر سبحانه أصحاب النار وما أعد لهم من الهلاك، أتبع ذلك بذكر أهل الإيمان وما أعد لهم من الخلود في الجنان.[٢]

١٦- ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾ البقرة:٨٧.

انتقلت الآيات من بيان مواقف بني إسرائيل بعضهم مع بعض في الآية السابقة، إلى بيان مواقفهم من رسلهم وأنبيائهم.[٣]

---

(١) السابق (٣/٥٥٨).

(٢) روح المعاني (١/٣٠٧).

(٣) موضوعات سور القرآن (١/١٠٥).

١٧- ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ البقرة:٩٩.

لما ذكر سابقًا عداوة بني إسرائيل لجبريل عليه السلام، ذكر هنا نزول جبريل بالآيات الواضحات الدلالة على صدق الرسول ﷺ وصحة رسالته.[١]

١٨- ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ البقرة:١٠٧.

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما حكم بجواز النسخ؛ عقبه ببيان أن ملك السموات والأرض له يتصرف كيفما شاء.[٢]

١٩- ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ البقرة:١١٠.

اعلم أنه تعالى لما أمر المؤمنين سابقًا بالعفو والصفح عن اليهود؛ أعقبه بالآية السابقة تنبيهًا على أنه كما ألزمهم لحظ الغير وصلاحه العفو والصفح؛ كذلك ألزمهم لحظ أنفسهم وصلاحها القيام بالصلاة والزكاة الواجبتين.[٣]

٢٠- ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ ...﴾ البقرة:١١٣.

---

(١) السابق (١/١١٣).

(٢) التفسير الكبير (٣/٦٤٣).

(٣) السابق (٤/٥) (بتصرف).

لما أبطل دعوى اختصاصهم بالرحمة قدحًا منهم في غيرهم بحكاية قولهم: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ....﴾ البقرة:١١١ وأثبتها للمحسنين، أتبع ذلك ببيان قدح كل فريق منهم في الآخر. (١)

٢١- ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ البقرة:١١٩.

من عادة الله ﷻ في كتابه: أنه كلما بيَّن موقف من مواقف الجحود والعناد من دعوة الرسول ﷺ ، وجَّه إليه الخطاب مواسيًا ومثبّتًا. (٢)

٢٢- ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ البقرة:١٣٣ .

اعلم أنه تعالى لما حكى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه بالغ في وصية بنيه في الدين والإسلام؛ ذكر عقيبه أن يعقوب عليه الصلاة والسلام وصى بنيه بمثل ذلك.(٣)

٢٣- ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ... ﴾ البقرة:١٤٣.

١) لما ذكر سابقًا تحويل القبلة إلى البيت الحرام وهي وسط الأرض، قال هنا وجعلناكم أمة وسطا، أي: كما وجهناكم إلى القبلة الوسط، جعلناكم أمة وسطا بين الأمم.(٤)

---

(١) نظم الدرر (١١٤/٢).

(٢) موضوعات سور القرآن (١٣١/١).

(٣) التفسير الكبير (٦٤/٤).

(٤) موضوعات سور القرآن (١٥٢/١).

٢) أي: كما أنعمنا عليكم بالهداية، كذلك أنعمنا عليكم بأن جعلناكم أمة وسطا.[١]

٢٤- ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾ البقرة:١٥١.

بعد ذكره تعالى تمام نعمته على عباده يوم القيامة بدخول الجنة، عقب بذكر أن من تمامها: إرسال الرسول ﷺ .[٢]

٢٥- ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ البقرة:١٥٢.

لما ذكر سابقًا نعمته ﷻ بإرسال الرسول ﷺ وهي نعمة عظيمة، كلَّف المسلمين في مقابل ذلك بأمرين أساسيين : وهما الذكر والشكر.[٣]

٢٦- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ البقرة:١٥٣.

لما أمر ﷻ سابقًا بذكره وشكره، بيَّن هنا أهم الوسائل التي يستعين بها المؤمن على ذلك.[٤]

٢٧- ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴾ البقرة:١٥٤.

لما ذكر تعالى سابقًا الاستعانة بالصبر على جميع الأحوال، ذكر هنا نموذجا مما يستعان بالصبر عليه: وهو الجهاد في سبيله.[٥]

---

(١) التفسير الكبير (٨٣/٤).

(٢) التفسير الكبير (١٢٢/٤)، موضوعات سور القرآن (١٦٢/١) واللفظ له.

(٣) تيسير الكريم الرحمن(٧٤)، فتح القدير (١٨٣/١)، موضوعات سور القرآن (١٦٣/١) (بتصرف).

(٤) التفسير الكبير (١٢٤/٤)، موضوعات سور القرآن (١٤٦/١)(بتصرف) .

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٧٥).

٢٨- ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ البقرة:١٥٥.

اعلم أن القفال -رحمه الله- قال:"هذا متعلق بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ البقرة:١٥٣"، أي:استعينوا بالصبر والصلاة؛ فإنكم معرضون للبلاء. (١)

٢٩- ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ... ﴾البقرة:١٦٤.

لما ذكر سبحانه التوحيد بقوله: ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ البقرة:١٦٣ ، عقب ذلك بالدليل الدال على وحدانيته ﷻ. (٢)

٣٠- ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ﴾ البقرة:١٦٥.

لما ذكر سابقًا الدلائل التي تدل على أنه تعالى وحده المستحق للعبادة والطاعة، ذكر هنا أن كثيرًا من الناس مع ذلك يعرضون عن عبادته وطاعته. (٣)

---

(١) التفسير الكبير (١٢٨/٤).

(٢) فتح القدير (١٨٨/١)، التفسير الكبير (١٥٢/٤).

(٣) فتح القدير (١٩٠/١)، التفسير الكبير (١٧٤/٤)، موضوعات سور القرآن (١٧٧/١) (بتصرف).

٣١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ البقرة:١٦٨.

لما بيَّن تعالى أنه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ البقرة:١٦٣، وأنه المُسْتَقِلُّ بالخلق: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ...﴾ البقرة:١٦٤ ، شرع يبَيِّن أنه الرزاق لجميع خلقه. (١)

٣٢- ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ البقرة:١٧١.

لما ذكر الله ﷻ سابقًا عدم اتباع الكفار للحق بسبب تقليدهم لآبائهم دون عقل، ضرب هنا مثالًا لهم بحال البهائم التي تستجيب لصوت راعيها دون فهم ولا وعي. (٢)

٣٣- ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ البقرة:١٧٣.

بعد أن رخص الله لهم الحلال الطيب في الآيات السابقة، بيَّن هنا أن ما حُرم عليهم قليل بالنسبة لما أُحل لهم. (٣)

٣٤- ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ البقرة:١٨٠ .

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣٤٧/١).

(٢) التفسير الكبير (١٨٩/٥)، تيسير الكريم الرحمن (٨١) (بتصرف) .

(٣) تيسير الكريم الرحمن(٨١)، التفسير الكبير (١٩١/٥)، موضوعات سور القرآن (١٨٢/١) واللفظ له .

لما كان في الخطاب السابق ذكر القتل والقصاص الذي هو حال حضرة الموت، انتظم به ذكر الوصية؛ لأنه حال من حضره الموت.[١]

٣٥- ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ البقرة:١٨١.

لما كان الموصي قد يمتنع من الوصية؛ لما يتوهمه أن من بعده قد يبدل ما وصى به، ذكر ذلك هنا.[٢]

٣٦- ﴿ فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ البقرة:١٨٢.

اعلم أنه تعالى لما توعد من يبدل الوصية، بيَّن أن المراد بذلك أن يبدله عن الحق إلى الباطل؛ أما إذا غيّره عن باطل إلى حق على طريق الإصلاح، فقد أحسن. [٣]

٣٧- ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة:١٩٣.

لما كان القتال عند المسجد الحرام، قد يُتوهم أنه مفسدة في هذا البلد الحرام؛ أخبر تعالى أن المفسدة بالفتنة عنده بالشرك والصد عن دينه أشد من مفسدة القتل. [٤]

٣٨- ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ۛ وَأَحۡسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ البقرة:١٩٥ .

---

(١) نظم الدرر (٣/٣٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٨٥).

(٣) التفسير الكبير (٥/٢٣٦).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٨٩).

اعلم أنه تعالى لما أمر بالقتال، والاشتغال بالقتال لا يتيسر إلا بالآلات وأدوات يحتاج فيها إلى المال؛ أمر هنا بالإنفاق.(١)

٣٩- ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ البقرة:١٩٨.

لما أمر تعالى سابقًا بالتقوى، أخبر هنا أن ابتغاء فضل الله بالتكسب في مواسم الحج ليس فيه حرج، ولا ينافي التقوى.(٢)

٤٠- ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ البقرة:٢٠٤.

اعلم أنه تعالى لما بيّن أن الذين يشهدون مشاعر الحج فريقًا كافرًا وهو الذي يقول: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا ... ﴾ البقرة:٢٠٠، وفريقا مسلمًا وهو الذي يقول: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً ... ﴾ البقرة:٢٠١، بقي المنافق فذكره في هذه الآية.(٣)

٤١- ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ البقرة:٢٠٧.

اعلم أنه تعالى لما وصف في الآية المتقدمة حال من يبذل دينه لطلب الدنيا؛ ذكر في هذه الآية حال من يبذل دنياه ونفسه وماله لطلب الدين.(٤)

---

(١) موضوعات سور القرآن(٢١١/١)، التفسير الكبير واللفظ له (٢٩٣/٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٩٢) (بتصرف).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٩٣)، روح المعاني (٤٩٠/١)، التفسير الكبير واللفظ له (٣٤٣/٥).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٩٤)، موضوعات سور القرآن(٢٢٨/١)، التفسير الكبير واللفظ له (٣٤٩/٥).

٤٢- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ البقرة:٢٠٨.

اعلم أنه تعالى لما حكى عن المنافق أنه يسعى في الأرض ليفسد فيها؛ أمر المسلمين بما يضاد ذلك وهو العمل بالإسلام والشرائع كاملة. [١]

٤٣- ﴿ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ البقرة:٢٠٩.

لما أمر الله ﷻ سابقًا بالدخول في الإسلام كافة، وكان العبد لابد أن يقع منه خلل وزلل، ذكر ذلك هنا. [٢]

٤٤- ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ البقرة:٢١٢.

اعلم أنه تعالى لما ذكر من قبل حال من يبدل نعمة الله ﷻ من بعد ما جاءته وهم الكفار؛ أتبعه هنا بذكر السبب الذي لأجله كان هذا الفعل منهم. [٣]

٤٥- ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ...﴾ البقرة:٢١٣.

اعلم أنه تعالى لما بيَّن في الآية السابقة أن سبب إصرار الكفار على كفرهم هو حب الدنيا؛ بيَّن هنا أن هذا المعنى غير مختص بهذا الزمان، بل كان حاصلا في الأزمنة المتقدمة. [٤]

---

(١) التفسير الكبير (٥/٢٥١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٩٤).

(٣) التفسير الكبير (٦/٣٦٦).

(٤) السابق (٦/٣٧٢).

٤٦- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ البقرة:٢١٨.

لما أوجب تعالى الجهاد من قبل بقوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ ... ﴾ البقرة:٢١٦، وبيَّن أن تركه سبب الوعيد، أتبع ذلك بذكر ثواب من يقوم به.[١]

٤٧- ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ ...﴾ البقرة:٢٢١.

١) لما ذكر سابقًا مخالطة الأيتام وقد تؤدي هذه المخالطة إلى تقوية الصلات الاجتماعية معهم بتزويجهم أو الزواج منهم، نهى هنا عن الزواج من المشركة ولو كانت يتيمة.[٢]

٢) لما قال: ﴿ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ...﴾ البقرة:٢٢٠، وأراد مخالطة النكاح، عطف عليه ما يبعث على الرغبة في نكاح اليتامى المؤمنات وأنه أفضل من نكاح المشركات.[٣]

٤٨- ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ البقرة:٢٢٦.

بعد أن ذكرت الآيات السابقة الأيمان عامة، انتقلت هنا إلى الحديث عن أيمان مخصوصة تصدر عن بعض الأزواج بقصد الإضرار بزوجاتهم.[٤]

---

(١) السابق (٦/٣٩٤).

(٢) موضوعات سور القرآن (١/٢٤٢).

(٣) التفسير الكبير (٦/٤٠٧) (بتصرف).

(٤) موضوعات سور القرآن (١/٢٥٣).

٤٩- ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ البقرة:٢٣٨.

١) جاء بالأمر بالصلاة عقيب الحض على العفو، والنهي عن ترك الفضل؛ لأنها تهيئ النفوس لفواضل الأعمال، ولكونها الناهي عن الفحشاء والمنكر، وقيل أمر بها في خلال بيان ما يتعلق بالأزواج والأولاد من أحكام شرعية؛ إيذانًا بأنها حقيقة بكمال الاعتناء بشأنها، وأن لا يدع التعلق بالنساء وأحوالهن يشغله عن المحافظة على ما هو عماد الدين.(١)

٢) توسطت الآية آيات أحكام الطلاق؛ لأنها عماد الدين، فمن حافظ عليها كان جديرًا بالوقوف عند حدود الله في أحكام الطلاق، وهي مذكر عملي يصل الإنسان بالله؛ ليترفع عن الظلم والعدوان ولاسيما بعد الطلاق الذي يولد الشحناء والبغضاء.(٢)

٥٠- ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ البقرة:٢٤٣.

اعلم أن عادته تعالى في القرآن أن يذكر بعد بيان الأحكام القصص؛ ليفيد الاعتبار للسامع.(٣)

٥١- ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةًۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ البقرة:٢٤٥.

اعلم أنه تعالى لما أمر بالقتال في سبيله؛ أردفه بذكر القرض وهو على قول من قال من المفسرين أنه المقصود به الإنفاق في الجهاد خاصة.(٤)

---

(١) نظم الدرر (٣/٣٥٩)، موضوعات سور القرآن (١/٢٦٩)، روح المعاني واللفظ له (١/٥٤٨).

(٢) التفسير الكبير (٦/٤٨٢).

(٣) السابق (٦/٤٩٥).

(٤) السابق (٦/٤٩٨).

٥٢- ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ...﴾ البقرة:٢٥٥.

اعلم أن من عادته سبحانه وتعالى في هذا الكتاب الكريم أنه يخلط هذه الأنواع الثلاثة بعضها ببعض، أعني: علم التوحيد، علم الأحكام، وعلم القصص. [(١)]

٥٣- ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ البقرة:٢٥٧.

١) هذه الآية مترتبة على الآية التي قبلها؛ فآية الكرسي هي الأساس، وهذه هي الثمرة.[(٢)]

٢) وقعت هذه الآية موقع التعليل لقوله تعالى:﴿ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾ البقرة:٢٥٦؛ لأن الذين كفروا بالطاغوت وآمنوا بالله قد تولوا الله فصار وليهم. [(٣)]

٥٤- ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ... ﴾ البقرة:٢٥٨.

لما ذكر الله تعالى فيما سبق أن الله ولي الذين آمنوا وأن الطاغوت ولي الكافرين، أعقبه بذكر نموذج للإيمان ونموذج للطغيان. [(٤)]

---

(١) التفسير الكبير (٥/٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (١١١).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠/٣).

(٤) التفسير المنير للزحيلي (٢٧/٣).

٥٥- ﴿ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ ...﴾ البقرة:٢٥٩.

لما ذكر سابقًا قصة إبراهيم مع النمرود لإثبات وجود الله ﷻ ، ذكر هنا وفي الآية التي تليها قصة لإثبات الحشر والبعث.[(١)]

٥٦- ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ البقرة:٢٦٢.

لما عظَّم تعالى أمر الإنفاق في سبيله سابقًا، أتبعه هنا ببيان الأمور التي يجب تحصيلها؛ حتى يبقى ذلك الثواب ومنها ترك المنِّ والأذى.[(٢)]

٥٧- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ ...﴾ البقرة:٢٦٤ .

لما ذمَّ الله إبطال أجر الصدقة بالمنِّ والأذى، ذكر هنا مَثَلًا لذلك.[(٣)]

٥٨- ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ البقرة:٢٦٥.

عطف مَثَل الذين ينفقون أموالهم في مرضات الله على مَثَل الذي ينفق ماله رئاء الناس؛ لزيادة بيان ما بين المرتبتين من البون، وتأكيدًا للثناء على المنفقين بإخلاص.[(٤)]

---

(١) التفسير المنير (٣/٣٣).

(٢) التفسير الكبير (٧/٤٠).

(٣) السابق (٧/٤٢).

(٤) التحرير والتنوير (٣/٥٠).

٥٩- ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ... ﴾البقرة:٢٦٦.

أضافت الآيات مثلًا آخر للذين يحرمون أنفسهم من ثواب أعمالهم وهم أحوج ما يكونون إليه، وذلك بسبب مراءاتهم للناس بهذه الأعمال، وعدم إخلاصهم فيها، أو إعجابهم بها. (١)

٦٠- ﴿ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة:٢٦٨ .

لما رغب الله تعالى الإنسان في الإنفاق من أجود ما يملكه بقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ...﴾ البقرة:٢٦٧، حذره بعد ذلك من وسوسة الشيطان بالفقر حال الإنفاق.(٢)

٦١- ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ البقرة:٢٦٩.

لما ذكر أحوال المنفقين للأموال، وأن الله أعطاهم ومنَّ عليهم بالأموال؛ ذكر هنا ما هو أفضل من ذلك وهو إعطاء الحكمة لمن يشاء من عباده. (٣)

٦٢- ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ ... ﴾ البقرة:٢٧٥.

---

(١) السابق (٥٣/٣)، موضوعات سور القرآن واللفظ له (٣٠٤/٢).

(٢) التحرير والتنوير(٥٩/٣)، نظم الدرر(٩١/٤)، التفسير الكبير واللفظ له (٥٥/٧).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (١١٥).

لما كانت الآيات السابقة تتكلم عن الصدقة أعقبها بالحديث عن الربا، وبيَّن الصدقة والربا مناسبة من جهة التضاد؛ وذلك لأن الصدقة عبارة عن تنقيص المال بسبب أمر الله بذلك، والربا عبارة عن طلب الزيادة على المال مع نهي الله عنه. (١)

٦٣- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ البقرة:٢٧٧.

اعلم أن عادة الله في القرآن مطردة بأنه تعالى إذا ذكر وعيدًا ذكر بعده وعدًا، والعكس كذلك؛ فلما بالغ في وعيد المرابي، أتبعه بهذا الوعد للمؤمن. (٢)

٦٤- ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ البقرة:٢٨١.

١) اعلم أن هذه الآية في الذين كانوا يعاملون بالربا وكانوا أصحاب ثروة وكان يجري منهم التغلب على الناس بسبب ثروتهم؛ فاحتاجوا إلى مزيد زجر ووعيد وتهديد. (٣)

٢) جيء بهذه الآية تذييلًا للأحكام السابقة؛ لأنه صالح للترهيب من ارتكاب ما نُهي عنه والترغيب في فعل ما أمر به أو ندب إليه. (٤)

٦٥- ﴿ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ ...﴾ البقرة:٢٨٣.

---

(١) التفسير الكبير (٧/٧١).

(٢) السابق (٧/٨١).

(٣) السابق (٧/٨٧).

(٤) التحرير والتنوير (٣/٩٧).

لما ذكر الله تعالى الإنفاق وجزاءه الطيب، والربا وقباحته وخطره، أعقبه بذكر القرض الحسن والتعامل بالدين المؤجل.[1]

٦٦- ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ﴾ البقرة:٢٨٤.

لما أخبر الله ﷻ عن سعة علمه، دل هنا عليه بسعة ملكه المستلزم لسعة قدرته؛ ليدل ذلك على جميع الكمال.[2]

* * * * * * *

(١) التفسير المنير (١٠٦/٣).

(٢) نظم الدرر(١٦٣/٤).

سورة آل عمران

أولاً: مناسبة بداية سورة آل عمران لخاتمة سورة البقرة:

١) ختمت سورة البقرة بالحديث عن إيمان الرسول والمؤمنين بكل الكتب المنزلة، وبدأت سورة آل عمران بالحديث عن تلك الكتب المنزلة والإيمان بالله ﷻ. [١]

٢) افتتحت سورة البقرة بذكر المتقين وأنهم المفلحون، وختمت به سورة آل عمران.[٢]

٣) ختمت سورة آل عمران بما بدأت به سورة البقرة وكأنهم سورة واحدة؛ بدأت سورة البقرة بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾٤، وختمت سورة آل عمران: ﴿ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ... ﴾١٩٩. [٣]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة آل عمران لخاتمتها:

١) بدأت بالدعاء: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً... ﴾ ٨، وختمت به: ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ ١٩٤. [٤]

٢) بدأت بتهوين شأن الكافرين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ... ﴾ ١٠، وختمت به: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴾ ١٩٦.[٥]

---

(١) التفسير الموضوعي (٤٢٠/١).

(٢) أسرار ترتيب سور القرآن (٣٣).

(٣) السابق (٣٤).

(٤) التفسير الموضوعي (٤١٦/١).

(٥) السابق (٤١٦/١).

٣) بدأت بالحديث عن القرآن والتوراة والإنجيل، وختمت به: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ...﴾ ١٩٩.[1]

٤) بدأت بالوعيد للكافرين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ ٤، وختمت بالوعد بالجنان للمؤمنين: ﴿ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ ١٩٥.[2]

٥) افتتحت بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ ٩، وختمت بـ: ﴿ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ ١٩٤.[3]

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ آل عمران:٨.

لما كان المقام مقام انقسام إلى منحرفين ومستقيمين، دعوا الله هنا أن يثبتهم على الإيمان.[4]

٢- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴾ آل عمران:١٠.

---

(١) السابق (١/٤١٧).

(٢) التفسير الموضوعي (١/٤١٧).

(٣) مراصد المطالع (٤٨).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٨).

لما ذكر سبحانه وتعالى حال المؤمنين ودعائهم وتضرعهم، ذكر هنا حال الكافرين وشديد عقابهم. (١)

٣- ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝١٢ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَاۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ...﴾ آل عمران:١٢- ١٣.

استئناف للانتقال من الإنذار إلى التهديد، ومن ضرب المثل لهم بأحوال سلفهم في الكفر، إلى ضرب المثل لهم بسابق أحوالهم المؤذنة بأن أمرهم صائر إلى زوال. (٢)

٤- ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ آل عمران:١٤.

لما قال سابقًا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم... ﴾ آل عمران:١٠، قصد هنا موعظة المسلمين بأن لا يغتروا بحال الذين كفروا فتعجبهم زينة الدنيا. (٣)

٥- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ آل عمران:٢١.

---

(١) التحرير والتنوير (١٧١/٣)، التفسير الكبير واللفظ له (١٥٢/٧).

(٢) التحرير والتنوير (٧٥/٣).

(٣) السابق (١٧٨/٣) (بتصرف).

اعلم أنه تعالى لما ذكر من قبل حال من يعرض ويتولى بقوله: ﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ...﴾ آل عمران:٢٠؛ أردفه بصفة هذا المتولي فذكر ثلاثة أنواع من الصفات. (١)

٦- ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ آل عمران:٢٨.

لما ذكر الله ﷻ ما يجب أن يكون عليه المؤمن في تعظيم الله تعالى بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ...﴾ آل عمران:٢٦، ذكر بعده ما يجب أن يكون المؤمن عليه في المعاملة مع الناس. (٢)

٧- ﴿ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ آل عمران:٢٩.

لما نهى الله ﷻ المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء ظاهرًا وباطنًا، واستثنى التقية في الظاهر، أتبع ذلك بهذا الوعيد؛ حتى لا يصير الباطن موافقًا للظاهر في وقت التقية.(٣)

٨- ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ آل عمران:٣٠.

---

(١) التفسير الكبير (١٧٦/٧).

(٢) السابق (١٩١/٨).

(٣) السابق (١٩٤/٨).

لما ذكر الله ﷻ من عظمته وسعة أوصافه ما يوجب للعباد أن يراقبوه في كل أحوالهم، ذكر لهم هنا داعيًا آخر إلى مراقبته: وهو أنهم كلهم صائرون إليه، وأعمالهم حينئذ من خير وشر محضرة.[1]

٩- ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ آل عمران:٣١.

لما نهى الله ﷻ سابقًا عن موالاة الكافرين ومحبتهم والميل إليهم في قوله: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ.... ﴾ آل عمران:٢٨، بيَّن هنا أن الإيمان بالله تعالى يستدعي محبة الله واتباع الرسول ﷺ ومحبته، وموالاة الكافرين ومحبتهم ومحبة الله ورسوله لا يجتمعان في قلب مؤمن.[2]

١٠- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ آل عمران:٣٣.

اعلم أنه تعالى لما بيَّن أن محبته لا تتم إلا بمتابعة الرسل؛ بيَّن هنا علو درجات الرسل وشرف مناصبهم.[3]

١١- ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾ آل عمران:٥٦.

لما ذكر سابقًا: ﴿ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ آل عمران:٥٥، بيَّن هنا مفصلًا ذلك الاختلاف: إما كافر، وإما مؤمن.[4]

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١٢٨).

(٢) موضوعات سور القرآن (٤٢/٩) (بتصرف).

(٣) التفسير الكبير (١٩٨/٨).

(٤) السابق (٢٤٠/٨).

١٢- ﴿ وَدَّت طَّآيِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ آل عمران:٦٩.

لما ذكر الله سابقًا موقفًا لأهل الكتاب وهو الإعراض عن الحق في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ...﴾ آل عمران:٦٤، ذكر هنا موقفًا آخر وهو شدة حرصهم على إضلال المؤمنين.(١)

١٣- ﴿ وَقَالَت طَّآيِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ آل عمران:٧٢.

اعلم أنه تعالى لما حكى عنهم أنهم يلبسون الحق بالباطل؛ أردف ذلك بأن حكى عنهم نوعًا واحدًا من أنواع تلبيساتهم. (٢)

١٤- ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآيِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ آل عمران:٧٥.

عطف على قوله تعالى: ﴿ وَدَّت طَّآيِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ..﴾ آل عمران:٦٩، وآية ﴿ وَقَالَت طَّآيِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ... ﴾ آل عمران:٧٢؛ لبيان دخائل أحوال اليهود في معاملة المسلمين الناشئة عن حسدهم وانحرافهم عن ملة إبراهيم. (٣)

---

(١) التفسير المنير (٣/٢٦٨).

(٢) التفسير الكبير (٨/٢٥٧).

(٣) التحرير والتنوير (٣/٢٨٥).

١٥- ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ آل عمران:٨٣.

لما بيَّن تعالى في الآية السابقة أن الإيمان بمحمد ﷺ شرع شرعه الله وأوجبه على جميع من مضى من الأنبياء والأمم، لزم أن كل من كره ذلك؛ فإنه يكون طالبًا دينا غير دين الله. (١)

١٦- ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ... ﴾ آل عمران:٨٤.

لا بد مع الاستسلام لله تعالى وحده من التصديق بنبوة جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ ولهذا أمر الله تعالى النبي ﷺ أن يعلن هذه الحقيقة في وجوه أهل الكتاب.(٢)

١٧- ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ آل عمران:٨٥.

اعلم أنه تعالى لما قال في آخر الآية المتقدمة: ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران:٨٤؛ أتبعه بأن بيّن في هذه الآية أن الدين ليس إلا الإسلام، وأن كل دين سوى الإسلام، فإنه غير مقبول عند الله.(٣)

١٨- ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ آل عمران:٨٦.

---

(١) موضوعات سور القرآن(٨٣/٩)، التفسير الكبير (٢٧٩/٨).

(٢) موضوعات سور القرآن(٨٤/٩)، التفسير الكبير (٢٨١/٨) (بتصرف).

(٣) التفسير الكبير (٢٨٢/٨).

اعلم أنه تعالى لما عظَّم أمر الإسلام والإيمان بقوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ آل عمران:٨٥؛ أكد ذلك التعظيم بأن بيّن وعيد من ترك الإسلام، فقال:﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ... ﴾.[١]

١٩- ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ آل عمران:٩٢.

لما بيّن تعالى في الآية السابقة أن الإنفاق لا ينفع الكافرين يوم القيامة، علّم المؤمنين كيفية الإنفاق الذي ينتفعون به في الآخرة. [٢]

٢٠- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ آل عمران:١٠٠.

اعلم أنه لما حذر أهل الكتاب في الآية السابقة عن الصد عن سبيل الله وعن الإضلال؛ حذر المؤمنين في هذه الآية من إغواء وإضلال أهل الكتاب لهم ومَنَعهم عن الالتفات إلى قولهم. [٣]

٢١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ آل عمران:١٠٢.

انتقل من تحذير المخاطبين من الانخداع لوساوس بعض أهل الكتاب، إلى تحريضهم على تمام التقوى؛ لأن في ذلك زيادة صلاح لهم ورسوخًا لإيمانهم. [٤]

---

(١) التفسير الكبير (٨/٢٨٣).

(٢) التحرير والتنوير(٤/ ٥)، روح المعاني (٢/٢١٣)، التفسير الكبير (٨/٢٨٨) (بتصرف).

(٣) التفسير الكبير (٨/٣٠٨).

(٤) التحرير والتنوير (٤/٢٩).

٢٢- ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ آل عمران:١١١.

اعلم أنه تعالى لما رغب المؤمنين في الثبات على إيمانهم وترك الالتفات إلى أقوال الكفار وأفعالهم بقوله:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ... ﴾ آل عمران:١١٠، رغبهم فيه من وجه آخر: وهو أن الكفار لا قدرة لهم على الإضرار بالمسلمين إلا بالقليل من القول الذي لا عبرة له. [١]

٢٣- ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ آل عمران:١١٣.

لما ذكر الله حال المنحرفين من أهل الكتاب، بيَّن هنا حال المستقيمين منهم.[٢]

٢٤- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ آل عمران:١١٦.

لما ذكر سابقًا أن كل ما يفعله المؤمن في الدنيا من خير سيجد ثوابه في الآخرة، ذكر في المقابل أن سعي الكافرين سعي ضائع لا ينفعهم يوم القيامة. [٣]

٢٥- ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ آل عمران:١١٧.

---

(١) التحرير والتنوير (٥٤/٤)، التفسير الكبير واللفظ له (٣٢٣/٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (١٤٣).

(٣) موضوعات سور القرآن (١٠٨/٩) (بتصرف).

اعلم أنه تعالى لما بيَّن أن أموال الكفار لا تغني عنهم شيئًا، ثم أنهم ربما أنفقوا أموالهم في وجوه الخيرات، فيخطر ببال الإنسان أنهم ينتفعون بذلك؛ فأزال الله تعالى في هذه الآية تلك الشبهة. [1]

٢٦- ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ آل عمران:١٢١.

لما حذر الله تعالى من اتخاذ بطانة السوء، ذكر هنا مثالًا واقعيًا من ميدان المعارك والغزوات: وهو أن سبب همّ الطائفتين بالفشل تثبيط المنافقين لهم بقيادة زعيمهم عبدالله بن أبي سلول. [2]

٢٧- ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾آل عمران:١٢٩.

إن المقصود من هذا تأكيد ما ذكره أولا من قوله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ...﴾آل عمران:١٢٨، والمعنى: أن الأمر إنما يكون لمن له الملك، وملك السموات والأرض ليس إلا لله تعالى، فالأمر في السموات والأرض ليس إلا لله. [3]

٢٨- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران:١٣٠.

جاء هنا النهي عن الربا بعد آيات الجهاد؛ لأن الرغبة في الإنفاق على الجهاد قد يدفع المسلمين لتحصيل المال عن طريق الربا، فنهى الله ﷻ عنه. [4]

---

(١) التحرير والتنوير (٦١/٤)، التفسير الكبير (٣٣٦/٨) واللفظ له.

(٢) التفسير المنير (٦٥/٤).

(٣) التفسير الكبير (٣٥٧/٨).

(٤) روح المعاني (٢٦٩/٢).

٢٩- ﴿ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ...﴾ آل عمران:١٤٠.

اعلم أن هذا من تمام قوله: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ ﴾ آل عمران:١٣٩، فبيَّن تعالى أن الذي يصيبهم من القرح لا يجب أن يزيل جدهم واجتهادهم في جهاد العدو؛ وذلك لأنه كما أصابهم ذلك، فقد أصاب عدوهم مثله قبل ذلك، فإذا كانوا مع باطلهم، وسوء عاقبتهم لم يفتروا لأجل ذلك في الحرب، فبأن لا يلحقكم الفتور مع حسن العاقبة والتمسك بالحق أولى.[١]

٣٠- ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ آل عمران:١٤٦.

من تمام تربية الله ﷻ للمسلمين بعد هزيمة أحد، ذكر لهم هنا حال أتباع الأنبياء السابقين.[٢]

٣١- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ آل عمران:١٤٩.

لما أمر الله سبحانه بالاقتداء بمن تقدم من أنصار الأنبياء، حذر من طاعة الكفار.[٣]

٣٢- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ ...﴾ آل عمران:١٥٦.

لمَّا فضح الله ﷻ المنافقين سابقًا، حذَّر هنا المؤمنين من التشبه بهم.[٤]

---

(١) التفسير الكبير (٣٧١/٩).

(٢) السابق (٣٧٩/٩).

(٣) فتح القدير (٤٤٥/١).

(٤) موضوعات سور القرآن (١٤٣/٩) (بتصرف).

٣٣- ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ... ﴾آل عمران:١٥٩.

اعلم أن القوم لما انهزموا عن النبي ﷺ يوم أحد ثم عادوا لم يخاطبهم الرسول ﷺ بالتغليظ والتشديد، وإنما خاطبهم بالكلام اللين، ثم بيَّن سبحانه وتعالى أنه عفا عنهم، وزاد في الفضل والإحسان بأن مدح الرسول ﷺ على عفوه عنهم، وتركه التغليظ عليهم، فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾، ومن أنصف علم أن هذا ترتيب حسن في الكلام.[١]

٣٤- ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ آل عمران:١٦١.

لما بالغ تعالى في الحث على الجهاد، أتبعه بذكر أحكام الجهاد ومن جملتها: المنع من الغلول.[٢]

٣٥- ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ آل عمران:١٦٢.

لما قال تعالى سابقًا: ﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ آل عمران:١٦١، أتبعه بتفصيل هذه الجملة، وبيَّن جزاء المطيعين ما هو وجزاء المسيئين ما هو.[٣]

* * * * * * *

(١) التفسير الكبير (٤٠٥/٩).

(٢) السابق (٤١١/٩).

(٣) السابق (٤١٥/٩).

سورة النساء

أولاً: مناسبة بداية سورة النساء لخاتمة سورة آل عمران:

ختمت سورة آل عمران بالأمر بالتقوى، وبدأت به سورة النساء.[١]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة النساء لخاتمتها:

١) بدأت بالكلام عن أحكام المواريث والكلالة، وختمت بشيء منها وهو حكم الكلالة.[٢]

٢) افتتحت بذكر الخلق والولادة، وختمت بأحكام الوفاة. [٣]

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةً مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾ النساء:١٥.

لما ذكر سابقًا حفظ الإسلام لحقوق الإنسان المادية في آيات المواريث، ذكر هنا حفظه لحقوقه المعنوية وأهمها: سلامة عرضه وصيانته من القدح والذم.[٤]

٢- ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ النساء:١٧.

لما وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بالتواب الرحيم في خاتمة الآية السابقة، أعقب ذلك ببيان شرط التوبة.[٥]

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (٣٥).

(٢) مراصد المطالع (٤٨).

(٣) السابق (٤٨).

(٤) موضوعات سور القرآن (٣١/٤).

(٥) روح المعاني (٤٤٧/٢).

٣- ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ النساء:١٨.

اعلم أنه تعالى لما ذكر شرائط التوبة المقبولة؛ أردفها بشرح التوبة التي لا تكون مقبولة. (١)

٤- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ النساء:٢٩.

اعلم أنه تعالى لما شرح كيفية التصرف في النفوس بسبب النكاح؛ ذكر بعده كيفية التصرف في الأموال. (٢)

٥- ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ النساء:٣٢.

١) قال القفال -رحمه الله-:"لما نهاهم تعالى سابقًا عن أكل الأموال بالباطل وعن قتل النفس، أمرهم في هذه الآية بما سهّل عليهم ترك هذه المنهيات، وهو أن يرضى كل أحد بما قسم الله له؛ فإنه إن لم يرضَ بذلك وقع في الحسد، وإذا وقع في الحسد وقع لا محالة في أخذ الأموال بالباطل وفي قتل النفوس". (٣)

---

(١) التفسير الكبير (١٠/٨).

(٢) السابق (١٠/٥٦).

(٣) السابق (١٠/٦٤).

٢) قال القفال:"لما نهى الله تعالى عن أكل أموال الناس بالباطل؛عقبه بالنهي عما يؤدي إليه الطمع في أموالهم ". وقيل:نهاهم أولًا عن التعرض لأموالهم بالجوارح، ثم نهاهم عن التعرض لها بالقلب على سبيل الحسد. (١)

٦- ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ...﴾ النساء:٣٦.

اعلم أنه تعالى لما أرشد كل واحد من الزوجين إلى المعاملة الحسنة مع الآخر، وإلى إزالة الخصومة والخشونة؛ أرشد في هذه الآية إلى سائر الأخلاق الحسنة وذكر منها عشرة أنواع. (٢)

٧- ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴾ النساء:٣٨.

ذكر المُمسكين المذمومين (البخلاء)، ثم ذكر الباذلين المرائين لا يريدون بذلك وجه الله.(٣)

٨- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ النساء:٤٠.

لما فرغ من توبيخهم في الآيات السابقة، قال معللًا ومحذرًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾. (٤)

---

(١) روح المعاني (١٩/٣).

(٢) التفسير الكبير (٧٥/١٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣٠٢/٢) (بتصرف).

(٤) نظم الدرر (٢٨١/٥).

٩- ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴾ النساء:٤١.

لما ذكر سابقًا أنه في الآخرة لا يجري على أحد ظلم، بيّن هنا انتفاء الظلم؛ لأن ذلك يجري بشهادة الرسل الذين جعلهم الله الحجة على الخلق. [١]

١٠- ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ النساء:٤٦.

١) لما حكى تعالى عن اليهود أنهم يشترون الضلالة بقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴾ النساء:٤٤، شرح هنا كيفية تلك الضلالة وهي: تحريف الكلم عن مواضعه.[٢]

٢) لما ذكر سابقًا من أراد الضلال والعدواة للمؤمنين، أماط هنا اللثام عنهم. [٣]

١١- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾ النساء:٥٦.

اعلم أنه تعالى بعدما ذكر الوعيد بالطائفة الخاصة من أهل الكتاب؛ بيَّن هنا ما يعم الكافرين من الوعيد. [٤]

---

(١) التفسير الكبير (١٠/٨٣).

(٢) السابق (١٠/٩٢).

(٣) موضوعات سور القرآن (٤/٧٢).

(٤) التفسير الكبير (١٠/١٠٥).

١٢- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا﴾ النساء:٥٧.

اعلم أنه قد جرت عادة الله تعالى في هذا الكتاب الكريم بأن الوعد والوعيد يتلازمان في الذكر على سبيل الأغلب.(١)

١٣- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ... ﴾ النساء:٥٩.

لما أمر سبحانه القضاة والولاة إذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل، أمر هنا الناس بطاعتهم. (٢)

١٤- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا﴾ النساء:٦١.

١) لما أوجب الله في الآية السابقة على جميع المكلفين أن يطيعوا الله ويطيعوا الرسول ﷺ، ذكر في هذه الآية من لا يطيعون الرسول ﷺ ولا يرضون بحكمه. (٣)

٢) لما ذكر ضلالهم بالإرادة ورغبتهم في التحاكم إلى الطاغوت، ذكر هنا فعلهم في نفرتهم عن التحاكم إلى رسول الله ﷺ. (٤)

---

(١) السابق (١٠/١٠٧).

(٢) التحرير والتنوير(٥/٩٦)، روح المعاني (٤/٦٣)، الكشاف (١/٥٢٤)، فتح القدير واللفظ له (١/٥٥٦).

(٣) التفسير الكبير (١٠/١١٩).

(٤) نظم الدرر (٥/٣١٣).

١٥- ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ النساء:٦٩.

لما أمر الله ﷻ بطاعة الله وطاعة الرسول ﷺ بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ... ﴾٥٩، ثم أعاد الأمر بطاعة الرسول مرة أخرى، فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ... ﴾٦٤، أكد الأمر بطاعة الله وطاعة الرسول في هذه الآية مرة أخرى. [١]

١٦- ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾ النساء:٩٣ .

لما بيَّن تعالى حكم القتل الخطأ، شرع هنا في بيان حكم القتل العمد. [٢]

١٧- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ ....﴾ النساء:٩٤.

لما بيّنت الآية السابقة جزاء القتل العمد، اتجهت الآيات هنا آمرة المؤمنين بالتثبت في أثناء خروجهم إلى الجهاد؛ لكيلا يقتلوا نفسًا معصومة. [٣]

---

(١) التفسير الكبير (١٣٢/١٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣٣٠/٢).

(٣) موضوعات سور القرآن (١٢٥/٤).

١٨- ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً... ﴾ النساء:٩٥.

لما عاتبهم الله تعالى على ما صدر منهم من قتل من تكلم بكلمة الشهادة، فلعله يقع في قلبهم أن الأَولى الاحتراز عن الجهاد؛ لئلا يقع بسببه في مثل هذا، عقّبه ببيان فضيلة الجهاد.[١]

١٩- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ النساء:٩٧.

اعلم أنه تعالى لما ذكر ثواب من أقدم على الجهاد؛ أتبعه بعقاب من قعد عنه ورضي بالسكون في دار الكفر.[٢]

٢٠- ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةًۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ النساء:١٠٠.

لما رهب الله ﷻ من ترك الهجرة، رغب فيها هنا بما يسلي عما قد يوسوس به الشيطان من أنه لو فارق رفاهية الوطن وقع في شدة الغربة، وأنه ربما تجشم المشقة فمات قبل بلوغ القصد.[٣]

---

(١) التحرير والتنوير (٥/١٦٩)، التفسير الكبير واللفظ له (١١/١٩٢).

(٢) التفسير الكبير (١١/١٩٥).

(٣) نظم الدرر (٥/٣٧٥).

٢١- ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ النساء:١٠١.

لما ذكرت الآيات السابقة الهجرة والسفر في سبيل الله، ذكر هنا رخصة قصر الصلاة في السفر. (١)

٢٢- ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ النساء:١٠٣.

لما علّمهم بما يفعلون في الصلاة حال الخوف، أتبع ذلك ما يفعلون بعدها؛ لئلا يظن أنها تغني عن الذكر. (٢)

٢٣- ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ النساء:١١٠.

اعلم أنه تعالى لما ذكر الوعيد في هذا الباب؛ أتبعه بالدعوة إلى التوبة. (٣)

٢٤- ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ النساء:١١٤.

---

(١) نظم الدرر (٥/٣٧٧)، موضوعات سور القرآن واللفظ له (٤/١٣٢).

(٢) نظم الدرر (٥/٣٨٤).

(٣) نظم الدرر (٥/٣٩٦)، التفسير الكبير واللفظ له (١١/٢١٥).

اعلم أن هذه إشارة إلى ما كانوا يتناجون فيه حين يبيتون مالا يرضى من القول المذكور في قوله تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ... ﴾ النساء:١٠٨. [١]

٢٥- ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ النساء:١٢٣.

لما ذكر الله سابقًا دور الشيطان في إلقاء الأماني الكاذبة بقوله تعالى: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ النساء:١٢٠، ناسب بعدها ذكر هذه الأماني.[٢]

٢٦- ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ النساء:١٢٤.

لما ذكر جزاء المسيء تحذيرًا، أتبعه بأجر المحسن تبشيرًا. [٣]

٢٧- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴾ النساء:١٢٦.

في تعلق هذه الآية بما قبلها: أن يكون المقصود أن الله ﷻ لم يتخذ إبراهيم خليلًا لاحتياجه إليه في أمر من الأمور كما تكون خلة الآدميين، وكيف يُعقل ذلك وله مافي السموات والأرض. [٤]

---

(١) التفسير الكبير (١١/٢١٧).

(٢) التفسير المنير (٥/٢٨٤).

(٣) نظم الدرر (٥/٤١١).

(٤) التحرير والتنوير (٥/٢١٠).

٢٨- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ النساء:١٣١.

لما ذكر تعالى سابقًا أنه يغني كلا من سعته وأنه الواسع، أشار هنا إلى ما هو كالتفسير لكونه واسعًا بأن له ما في السموات والأرض. [١]

٢٩- ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ النساء:١٣٥.

لما أمر ﷻ بالتقوى وحث عليها، بيَّن هنا مظهر من المظاهر العملية للتقوى في مختلف الشؤون. [٢]

٣٠- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ ... ﴾ النساء:١٣٦.

لما أمر تعالى المؤمنين بالدوام على مبدأ العدل وقول الحق في جميع الأحوال والظروف، أمرهم هنا بالثبات على الإيمان والتمسك بأركانه؛ لأنه الأصل الذي يقوم عليه العدل والحق. [٣]

(١) التفسير الكبير (٢٣٨/١١).

(٢) موضوعات سور القرآن (١٦٥/٤).

(٣) السابق (١٦٧/٤).

٣١- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ النساء:١٣٧.

بعد دعوة المؤمنين بالثبات على الإيمان والتمسك بجميع أركانه، توعدت الآيات المترددين بين الإيمان والكفر. (١)

٣٢- ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ النساء:١٣٨.

لما كان التردد بين الإيمان والكفر شأن المنافقين، أمر الله النبي ﷺ أن يخبرهم بالعذاب الأليم الذي ينتظرهم بأسلوب التهكم. (٢)

٣٣- ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا﴾ النساء:١٤٤.

اعلم أنه تعالى لما ذمَّ ميل المنافقين مرة إلى الكفرة ومرة إلى المسلمين من غير أن يستقروا مع أحد الفريقين؛ نهى المسلمين في هذه الآية أن يفعلوا مثل فعلهم. (٣)

٣٤- ﴿ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ النساء:١٤٩.

مع أنه تعالى في الآية السابقة أعطى المظلومين حق الانتصار من الظالمين إلا أنه حث المظلومين بالعفو عمن ظلمهم عند التمكن منهم.(٤)

---

(١) السابق (١٦٧/٤).

(٢) موضوعات سور القرآن (١٦٧/٤).

(٣) تيسير الكريم الرحمن(٢١١)، التفسير الكبير واللفظ له (٢٥/١١).

(٤) موضوعات سور القرآن (٧٤/٤).

٣٥- ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء:١٦٢.

لما ذكر معايب أهل الكتاب سابقًا، ذكر هنا الممدوحين منهم. (١)

٣٦- ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ النساء:١٦٦.

لما ذكر الله أنه أوحى إلى رسوله محمد ﷺ كما أوحى إلى إخوانه من المرسلين، أخبر هنا بشهادته تعالى على رسالته وصحة ما جاء به. (٢)

٣٧- ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ النساء:١٧٢.

لما ذكر تعالى غلو النصارى في عيسى عليه السلام، ذكر هنا أن عيسى عليه السلام لا يستنكف عن عبادة ربه. (٣)

* * * * * * *

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٢١٤)، التفسير الكبير واللفظ له (٢٦٤/١١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٢١٥).

(٣) السابق (٢١٦).

سُورَةُ المَائِدَةِ

أولاً: مناسبة بداية سورة المائدة لخاتمة سورة النساء:

لما كانت سورة النساء تشتمل على عدة عقود: كعقد النكاح وعقد الإيمان والمواثيق والوصية وغيرها، بدأت سورة المائدة بالأمر بالوفاء بالعقود في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ... ﴾١. [1]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة المائدة لخاتمتها:

١) بدأت بالأمر بالوفاء بالعقود وأن الله يحكم ما يريد، وختمت بـ: ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ﴾ ١٢٠ فالكون كله لله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. [2]

٢) ذكر في خاتمتها بعض العقود التي أمر بالوفاء بها في أول السورة كعقد الوصية والأيمان.

٣) بدأت بتحريم الصيد للمحرم، وختمت به: ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ ٩٦. [3]

٤) بدأت بالحديث عن الشهر الحرام والهدي والقلائد، وختمت به: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَ... ﴾٩٧. [4]

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (٤١).

(٢) التفسير الموضوعي (٢/٢٨٨).

(٣) مراصد المطالع (٤٩).

(٤) السابق (٤٩).

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ...﴾ المائدة:٣.

لما ذكر الله ﷻ سابقًا قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ...﴾ المائدة:١، شرع هنا في بيان المحرمات التي أشار إليها.[١]

٢- ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ المائدة:٤.

شرع هنا في تفصيل المحللات التي ذكر بعضها على وجه الإجمال في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ ...﴾ المائدة:١ وبعدما ذكر المحرمات سابقًا.[٢]

٣- ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى ...﴾ المائدة:١٢.

اعلم أنه تعالى لما خاطب المؤمنين في الآية السابقة: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ ...﴾ المائدة:٧؛ ذكر هنا أنه أخذ الميثاق من بني إسرائيل لكنهم نقضوه وتركوا الوفاء به، فلا تكونوا أيها المؤمنين مثلهم في هذا الخلق الذميم.[٣]

---

(١) روح المعاني (٣/٢٣٠).

(٢) السابق (٢/٢٣٥).

(٣) التحرير والتنوير (١٣٩/٦)، التفسير الكبير واللفظ له (٣٢٢/١١).

٤- ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ المائدة:١٤.

بعدما ذكر ميثاق اليهود وميثاق المسلمين في الآيات السابقة، ذكر هنا ميثاق النصارى.(١)

٥- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ المائدة:٣٥.

١) لما ذكر سابقًا حد الحرابة، أمر هنا بالتقوى ليدل على أن الإسلام لا يعتمد في تربية النفوس وتهذيبها على العقوبات الزاجرة فقط؛ لهذا ذكرها الله بعد آية الحرابة وقبل آية حد السارق.(٢)

٢) اعلم أنه تعالى لما بيَّن لرسوله جسارة اليهود على المعاصي والذنوب، وبعدهم عن الطاعات؛ ذكر هنا الأمر بالتقوى وكأنه يقول: كونوا أيها المؤمنون بالضد من أفعال اليهود.(٣)

٣) اعتراض بين آيات وعيد المحاربين وأحكام جزائهم وبيَّن ما بعده: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ... ﴾المائدة:٣٦. خاطب الله ﷻ المؤمنين بالترغيب بعد أن حذرهم من المفاسد، على عادة القرآن في تخلل الأغراض بالموعظة والترغيب والترهيب.(٤)

---

(١) التحرير والتنوير (١٤٥/٦).

(٢) موضوعات سور القرآن (٦٧/٥).

(٣) التفسير الكبير (٣٤٨/١١).

(٤) التحرير والتنوير (١٨٧/٦).

٦- ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ المائدة:٣٨.

اعلم أنه تعالى لما أوجب في الآية المتقدمة قطع الأيدي والأرجل عند أخذ المال على سبيل المحاربة؛ بيَّن في هذه الآية أن أخذ المال على سبيل السرقة يوجب قطع الأيدي والأرجل أيضًا. [١]

٧- ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾ المائدة:٤٠.

اعلم أنه تعالى لما أوجب قطع اليد وعقاب الآخرة على السارق قبل التوبة، ثم ذكر أنه يقبل توبته إن تاب؛ أردفه ببيان أنَّ له أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فيعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء، وإنما قدم التعذيب على المغفرة؛ لأنه في مقابلة تقدم السرقة على التوبة .[٢]

٨- ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ... ﴾ المائدة:٤٨.

لمَّا ذكر تعالى التوراة التي أنزلها على موسى كليمه ومدحها: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ... ﴾ المائدة:٤٤، وذكر بعده الإنجيل ومدحه: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ... ﴾ المائدة:٤٦، شرع هنا في ذكر القرآن العظيم الذي أنزله على عبده ورسوله الكريم .[٣]

---

(١) روح المعاني (٣/٣٠١)، التفسير الكبير (١١/٣٥١).

(٢) التفسير الكبير (١١/٣٥٧).

(٣) التفسير المنير (٦/٢١٥)، التحرير والتنوير (٦/٢٢٠)، تفسير القرآن العظيم واللفظ له(٣/١١٥).

٩- ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾ المائدة:٥٢.

لما نهى الله المؤمنين في الآية السابقة عن موالاة اليهود والنصارى، أخبر هنا أن ممن يدعي الإيمان طائفة تواليهم. (١)

١٠- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ...﴾ المائدة:٥٤.

لما كانت موالاة اليهود والنصارى تستدعي الارتداد عن الدين، وجَّه الله النداء الثامن إلى المؤمنين محذرًا لهم من الارتداد عن دين الإسلام. (٢)

١١- ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ المائدة: ٥٥.

لما نهى الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ..﴾ المائدة:٥١ عن موالاة الكفار، أمر في هذه الآية بموالاة من يجب موالاته. (٣)

١٢- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ المائدة:٥٧.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٢٣٥).

(٢) موضوعات سور القرآن (٨٠/٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٢٣٦)، التحرير والتنوير (٢٣٩/٦)، الكشاف (٦٤٨/١)، فتح القدير (٦١/٢)، التفسير الكبير واللفظ له (٣٨٢/١٢).

اعلم أنه تعالى لما نهى في الآية المتقدمة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ... ﴾ المائدة:٥١ عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، ذكر هنا النهي العام عن موالاة جميع الكفار.(١)

١٣- ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ المائدة:٥٨.

لما حكى تعالى في الآية السابقة عن أهل الكتاب والكفار أنهم اتخذوا دين المسلمين هزوًا ولعبًا، ذكر هاهنا بعض ما يتخذونه من هذا الدين هزوًا ولعبًا وهو الصلاة. (٢)

١٤- ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ..﴾ المائدة:٦٠.

لما كان قدحهم في المؤمنين يقتضي اعتقادهم أنهم على شر، بيَّن الله لهم هنا ما هو أشد شناعة وأكثر شرًا، وهو ما كانوا هم عليه.(٣)

١٥- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ المائدة:٦٧.

لما أمر الله ﷻ الرسول ﷺ سابقًا بأن لا ينظر إلى قلة المقتصدين وكثرة الفاسقين، وجهه هنا إلى أن عليه التبليغ. (٤)

---

(١) التفسير الكبير (٣٨٧/١٢).

(٢) موضوعات سور القرآن (٨٢/٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٢٣٧) (بتصرف).

(٤) التفسير الكبير (٣٩٩/١٢).

١٦- ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ المائدة:٦٨.

اعلم أنه تعالى لما أمر رسوله بالتبليغ سواء طاب للسامع أو ثقل عليه؛ أمره بأن يقول لأهل الكتاب هذا الكلام.[١]

١٧- ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المائدة:٧٧.

اعلم أنه تعالى لما تكلم أولًا على أباطيل اليهود، ثم تكلم ثانيًا على أباطيل النصارى وأقام الدليل القاهر على بطلانها وفسادها؛ فعند ذلك خاطب مجموع الفريقين بهذا الخطاب.[٢]

١٨- ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ المائدة:٧٩.

لما ذكر سابقًا ضلالهم وعصيانهم، ذكر هنا سبب هذا الضلال وهو: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[٣]

١٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ المائدة:٨٧.

---

(١) السابق (٤٠١/١٢).

(٢) السابق (٤١٠/١٢).

(٣) موضوعات سور القرآن (٩٣/٥) (بتصرف).

بعدما ذكر الله ﷻ سابقًا الرهبان على سبيل المدح، وقد يكون ذلك داعيًا إلى الاقتداء بهم في الترهب والتشدد في الدين والإعراض عن كثير من المباحات؛ جاء التعقيب على ذلك بالنهي عن تحريم الطيبات التي أحلها الله ﷻ، وفيه تنبيه على أن الثناء على الرهبان والقسيسين لا يقتضي الثناء على جميع أحوالهم.(١)

٢٠- ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ...﴾ المائدة:٨٩.

لما ذكر سابقًا تحريمهم للحلال وهو يعدُّ في الشريعة الإسلامية يمينًا، بيَّن الله تعالى هنا أحكام الأيمان وكفارتها.(٢)

٢١- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ المائدة:٩٠.

اعلم أنه تعالى لما قال فيما تقدم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ...﴾ المائدة:٨٧ وكان من جملة الأمور المستطابة الخمر والميسر؛ بيَّن هنا أنهما غير داخلين في الطيبات.(٣)

٢٢- ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ المائدة:٩١.

---

(١) التحرير والتنوير(١٣/٧)، موضوعات سور القرآن (٩٦/٥) (بتصرف).

(٢) التحرير والتنوير(١٨/٧)، موضوعات سور القرآن واللفظ له (٩٧/٥).

(٣) موضوعات سور القرآن(٩٩/٥)، التفسير الكبير واللفظ له(٤٢٣/١٢).

اعلم أنه تعالى لما ذكر التكليف السابق بتحريم الخمر؛ أردفه بما يوجب عليهم القبول والانقياد وهو تذكيرهم بسعي الشيطان لإيقاع العداوة بينهم عن طريق شرب الخمر. (١)

٢٣- ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ المائدة:٩٢.

عطف على جملة: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ ٩١؛ لأن طاعة الله ورسوله تعم ترك الخمر والميسر والأنصاب وكل ذلك من وجوه الامتثال والاجتناب. (٢)

٢٤- ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ المائدة:٩٣.

لما نزل تحريم الخمر في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ المائدة:٩٠، تمنى أناس من المؤمنين أن يعلموا حال إخوانهم الذين ماتوا على الإسلام قبل تحريم الخمر وهم يشربونها، فبيَّن لهم الله هنا ما حالهم.(٣)

٢٥- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ المائدة:٩٤.

---

(١) التفسير الكبير (١٢/٤٢٤) (بتصرف).

(٢) التحرير والتنوير (٧/٣٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٢٤٣) (بتصرف).

اعلم أنه تعالى لما قال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ ...﴾ المائدة:٨٧، ثم استثنى الخمر والميسر من ذلك؛ فكذلك استثنى هنا هذا النوعِ من الصيد عن المحللّ. [١]

٢٦- ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَـٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ المائدة:٩٦.

لما حرم الله سابقًا الصيد على المحرم وكان الصيد منه البرِّي والبحري، استثنى الله هنا صيد البحر؛ حتى لا يُظَن أنه مما حرم. [٢]

٢٧- ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَـٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ المائدة:٩٧.

اعلم أنه تعالى لما بيَّن أن الحرم سبب لأمن الوحش والطير؛ ذكر هنا أنه سبب لأمن الناس أيضًا. [٣]

٢٨- ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ المائدة:٩٨.

لما حذر الله تعالى في الآية السابقة من انتهاك حرمة أربعة أشياء، نبَّه هنا على عقوبة المخالفة. [٤]

---

(١) التفسير الكبير (٤٢٧/١٢).

(٢) التحرير والتنوير (٥١/٧)، تيسير الكريم الرحمن واللفظ له(٢٤٤).

(٣) التفسير المنير (٧١/٧)، نظم الدرر (٣٠٦/٦)، التفسير الكبير واللفظ له(٤٣٩/١٢).

(٤) التفسير المنير (٧٥/٧).

٢٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾ المائدة:١٠١.

اعلم أنه تعالى لما قال: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ ...﴾ المائدة:٩٩؛ صار التقدير كأنه قال: ما لم يبلغه الرسول إليكم فلا تسألوا عنه. [١]

٣٠- ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ المائدة:١٠٣.

كما نهى تعالى ومنع الناس من السؤال والبحث عن أمور ما كلّفوا بالبحث عنها؛ كذلك منعهم هنا عن التزام أمور ما كلفوا التزامها. [٢]

٣١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ المائدة:١٠٥.

لما ذكر سابقًا مكابرة المشركين وإعراضهم عن دعوة الخير؛ أعقبه بتعليم المسلمين حدود انتهاء المناظرة والمجادلة إذا ظهرت المكابرة. [٣]

٣٢- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾ المائدة:١٠٦.

---

(١) التفسير الكبير (٢٤٢/١٢).

(٢) التفسير المنير (٨٦/٧).

(٣) التحرير والتنوير (٦٧/٧).

اعلم أنه تعالى لما أمر بحفظ النفس في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ ...﴾ المائدة:١٠٥؛ أمر هنا بحفظ المال. [١]

٣٣- ﴿ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ المائدة:١٠٩.

اعلم أن عادة الله تعالى جارية في هذا الكتاب الكريم أنه إذا ذكر أنواعًا كثيرة من الشرائع والتكاليف والأحكام أتبعها: إما بالإلهيات، وإما بشرح أحوال الأنبياء، أو بشرح أحوال القيامة؛ ليصير ذلك مؤكدًا لما تقدم ذكره من التكاليف والشرائع، فلا جرم لما ذكر فيما تقدم أنواعًا كثيرة من الشرائع أتبعها بوصف أحوال القيامة أولًا، ثم ذكر أحوال عيسى عليه الصلاة والسلام. [٢]

* * * * * * *

(١) التفسير الكبير (١٢/٤٥٠).

(٢) السابق (١٢/٤٥٦).

سورة الأنعام

أولاً: مناسبة بداية سورة الأنعام لخاتمة سورة المائدة:

١) ختمت سورة المائدة بقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ﴾ ١٢٠، وبدأت سورة الأنعام بذكر بعض أنواع ملكه كخلق السموات والأرض والظلمات والنور.[1]

٢) ختمت سورة المائدة بفصل القضاء، وبدأت سورة الأنعام بالحمد لله وهما متلازمتان في أكثر من موضع كما قال تعالى في سورة الزمر: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾٧٥، وفي سورة الأنعام: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾٤٥.[2]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الأنعام لخاتمتها:

١) بدأت ببيان تفرد الله ﷻ بالحمد، وختمت ببيان تفرده بالعبودية: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ ...﴾ ١٦٤.[3]

٢) ذكر في بدايتها: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ ١، وفي ختامها: ﴿وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ ١٥٠.[4]

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (٤٣).

(٢) السابق (٤٣).

(٣) التفسير الموضوعي (٢/٣٩٩).

(٤) مراصد المطالع (٥٠).

٣) بدأت بذكر الخلق الأول، وختمت بذكر الخلق الثاني: ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾ ١٦٤.[1]

٤) في بدايتها ذكر نعمة الخلق، وفي ختامها ذكر نعمة الاستخلاف.[2]

ثالثًا - مناسبات الآيات:

١- ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا ...﴾ الأنعام:٦.

هذه الجملة بيان لجملة: ﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ الأنعام:٥، جاء بيانها بطريقة الاستفهام الإنكاري عن عدم رؤية القرون الكثيرة الذين أهلكوا.[3]

٢- ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ الأنعام:١٢.

ولما أمرهم سبحانه بالسير، سألهم هل يرون في سيرهم وتطوافهم وجولاتهم شيئًا لغير الله؟[4]

٣- ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ الأنعام:١٣.

---

(١) التفسير الموضوعي (٣٩٩/٢).

(٢) السابق (٣٩٩/٢).

(٣) التحرير والتنوير (١٣٦/٧).

(٤) نظم الدرر (٣٠/٧).

لما ذكر سابقًا السموات والأرض ولا يوجد مكان سواهما، ذكر هنا الليل والنهار ولا زمان سواهما. (١)

٤- ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ الأنعام:٢٠.

لما بيَّن الله شهادته على صحة ما جاء به الرسول ﷺ، وقد ادعى كفار قريش أنهم سألوا أهل الكتابين فادعوا أنهم لا يعرفونه، ذكر هنا أن أهل الكتاب يعرفون صحة ذلك ولا يشكون فيه، كما أنهم لا يشكون بأولادهم. (٢)

٥- ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الأنعام:٢١.

اعلم أنه تعالى لما حكم في الآية السابقة على المنكرين بالخسران؛ بيَّن في هذه الآية سبب ذلك الخسران. (٣)

٦- ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الأنعام:٢٧.

اعلم أنه تعالى لما ذكر أنه من ينهى عن متابعة الرسول ﷺ بأنهم يهلكون أنفسهم؛ ذكر هنا كيفية ذلك الهلاك. (٤)

٧- ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾ الأنعام:٢٩.

---

(١) التفسير الكبير (١٢/٤٩٠).

(٢) نظم الدرر(٧/٧٨)، تيسير الكريم الرحمن (٢٥٢) (بتصرف).

(٣) التفسير الكبير (١٢/٥٠١).

(٤) السابق (١٢/٥٠٧).

١) اعلم أنه تعالى ذكر في الآية الأولى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ...﴾ الأنعام:٢٨، أنه بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل، بيَّن في هذه الآية أن ذلك الذي يخفونه هو أمر المعاد والحشر والنشر؛ وذلك لأنهم كانوا ينكرونه ويخفون صحته ويقولون ما لنا إلا هذه الحياة الدنيوية، وليس بعد هذه الحياة لا ثواب ولا عقاب.(١)

٢) أن تقدير الآية: ولو ردوا، لعادوا لما نهوا عنه، ولأنكروا الحشر والنشر.(٢)

٨- ﴿وَلَو تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ الأنعام:٣٠.

اعلم أنه تعالى لما حكى عنهم في الآية الأولى إنكارهم للحشر والنشر والبعث والقيامة؛ بيَّن في هذه الآية كيفية حالهم في القيامة الذي ينكرونه.(٣)

٩- ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ الأنعام:٣١.

اعلم أن المقصود من هذه الآية شرح حالة أخرى من أحوال منكري البعث والقيامة.(٤)

١٠- ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌۖ وَلَلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الأنعام:٣٢.

---

(١) السابق (١٢/٥١١).

(٢) السابق (١٢/٥١١).

(٣) السابق (١٢/٥١١).

(٤) التفسير الكبير (١٢/٥١٢).

اعلم أن المنكرين للبعث والقيامة تعظم رغبتهم في الدنيا وتحصيل لذاتها؛ فذكر الله تعالى هذه الآية تنبيهًا على خساستها وركاكتها .[1]

١١- ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الأنعام:٣٤.

عطف على جملة: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ الأنعام:٣٣، أي: فلا تحزن فإنهم لا يكذبونك والحال قد كذبت رسل من قبلك. [2]

١٢- ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ الأنعام:٣٨.

لما عجب منهم في قولهم السابق الذي يقتضي أنهم لم يروا له آية قط بعد ما جاءهم من الآيات، ذكرهم بآية غير آية القرآن تشتمل على آيات مستكثرة كافية لصلاحهم، وأخبرهم أن في مخلوقات الله آيات كافية لهم. [3]

١٣- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ الأنعام:٤٢.

لما أنذرهم سابقًا بتوقع العذاب، أعقبه بالاستشهاد على وقوع العذاب بأمم من قبل؛ ليعلم هؤلاء أن هذه سنة الله في الذين ظلموا بالشرك. [4]

---

(١) السابق (١٢/٥١٥).

(٢) التحرير والتنوير (٧/٢٠٠).

(٣) نظم الدرر (٧/١٠٤) (بتصرف).

(٤) التحرير والتنوير(٧/٢٢٦).

١٤- ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الأنعام:٥٢.

لما ذكر غير المتقين من المسلمين وأمر بإنذارهم ليتقوا، ثم أردفهم ذكر المتقين منهم وأمره بتقريبهم وإكرامهم، ولا يطيع فيهم من أراد بهم خلاف ذلك. (١)

١٥- ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ ﴾ الأنعام:٥٤.

لما نهى الله رسوله عن طرد المؤمنين، أمره هنا بمقابلتهم بالإكرام.(٢)

١٦- ﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ الأنعام:٥٦.

١) بعد أن بيَّنت الآيات السابقة: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ ...﴾ الأنعام:٥٤ كيف ينبغي أن يعامل النبي ﷺ المؤمنين، بيَّنت له بالمقابل كيف ينبغي له أن يعامل الكافرين المعاندين. (٣)

٢) لما قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ الأنعام:٥٥ أي: أنه يفصل الآيات ليظهر الحق ولتستبين سبيل المجرمين، ذكر في هذه الآية أنه تعالى نهى عن سلوك سبيلهم. (٤)

---

(١) الكشاف (٢/٢٧).

(٢) التحرير والتنوير(٧/٢٥٦)، تيسير الكريم الرحمن واللفظ له(٢٥٨).

(٣) موضوعات سور القرآن (١٢/٥٧).

(٤) التفسير المنير (٧/٢٢٢).

١٧- ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ الأنعام:٥٩.

اعلم أنه تعالى لما قال سابقًا: ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأنعام:٥٨؛ بيَّن هنا أن علمه لا يقتصر على ذلك بل هو عالم بكل شيء. [1]

١٨- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ الأنعام:٦٠.

اعلم أنه تعالى لما بيَّن كمال علمه في الآية السابقة؛ بيَّن هنا كمال قدرته. [2]

١٩- ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ الأنعام:٦١.

لما أخبرﻷ بتمام علمه وقدرته، أخبر بغالب سلطنته وعظيم جبروته وأن أفعاله هذه على سبيل القهر لا يستطاع مخالفتها. [3]

٢٠- ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ﴾ الأنعام:٦٥.

---

(١) التفسير المنير (٧/٢٢٧)، التفسير الكبير واللفظ له(١٣/٩).

(٢) التفسير الكبير (١٣/١٢).

(٣) نظم الدرر (٧/١٣٩).

لما بيَّن سبحانه وتعالى أنه قادر على إنجاء المشركين وغيرهم من المخاوف والأهوال، بيَّن هنا أنه قادر أيضًا على إيصال العذاب إليهم من طرق مختلفة؛ ليعتبروا ويتعظوا.[1]

٢١- ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأنعام:٦٨.

لما أمره بما يقول جوابًا لتكذيبهم: ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ الأنعام:٦٦، بيَّن له هنا ما يفعل وقت خوضهم في التكذيب.[2]

٢٢- ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ الأنعام:١١١.

اعلم أنه تعالى بيَّن في هذه الآية تفصيل ما ذكره على سبيل الإجمال بقوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأنعام:١٠٩؛ فبيَّن أنه تعالى لو أعطاهم ما طلبوه من إنزال الملائكة وإحياء الموتى حتى كلموهم، بل لو زاد في ذلك ما لا يبلغه اقتراحهم بأن يحشر عليهم كل شيء قبلا، ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله.[3]

٢٣- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ الأنعام:١١٢.

---

(١) التفسير الكبير (١٣/٢٠).

(٢) نظم الدرر (١٤٦/٧) (بتصرف).

(٣) التفسير الكبير (١٣/١١٧).

قد عودنا تعالى في التنزيل الحكيم أنه كلما بيَّن شدة عناد المشركين وإعراضهم، أنزل آيات تواسي النبي ﷺ وتسليه عمَّا يلقى من عنادهم وإعراضهم.[1]

٢٤- ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام:١٢٢.

اعلم أنه تعالى لما ذكر في الآية الأولى أن المشركين يجادلون المؤمنين في دين الله: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ الأنعام:١٢١؛ ذكر مثلا يدل على حال المؤمن المهتدي، وعلى حال الكافر الضال، فبيّن أن المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتًا، فجعل حيًا بعد ذلك وأعطي نورًا يهتدي به في مصالحه، وأن الكافر بمنزلة من هو في ظلمات منغمس فيها لا خلاص له منها، فيكون متحيرًا على الدوام.[2]

٢٥- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ الأنعام:١٢٣.

(الكاف) في قوله : (وكذلك) يوجب التشبيه، وفيه قولان: الأول: وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها، كذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها. الثاني: أنه معطوف على ما قبله: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام:١٢٢، أي: كما زينا للكافرين أعمالهم، كذلك جعلنا في كل قرية.[3]

---

(١) موضوعات سور القرآن (١٢/١٠٦).

(٢) التفسير الكبير (١٣/١٣٢).

(٣) السابق (١٣/١٣٥).

٢٦- ﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ﴾ الأنعام:١٢٤.

لما قال تعالى سابقًا: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ ...﴾ الأنعام:١٢٣، ذكر هنا شيئًا من أحوال أكابر مجرمي مكة. [١]

٢٧- ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾ الأنعام:١٢٦.

لما ذكر تعالى في الآيات السابقة طريق الضالين عن سبيله الصادين عنه، نبه هنا على شرف ما أرسل به رسوله من الدين الحق؛ فقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗا﴾ أي: هذا الدين الذي شرعناه لك يا محمد في هذا القرآن هو صراط الله المستقيم. [٢]

٢٨- ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ الأنعام:١٢٧.

اعلم أنه تعالى لما بيَّن عظيم نعمه في الصراط المستقيم؛ بيَّن هنا الفائدة التي تحصل من التمسك بذلك الصراط.[٣]

٢٩- ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ الأنعام:١٢٨.

---

(١) التحرير والتنوير (٥١/٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣٠٢/٣).

(٣) التفسير الكبير (١٤٦/١٣).

اعلم أنه تعالى لما بيّن حال من يتمسك بالصراط المستقيم؛ بيّن بعده حال من يكون بالضد من ذلك.(١)

٣٠- ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ الأنعام:١٢٩.

اعلم أنه تعالى لما حكى عن الجن والإنس أن بعضهم يتولى بعضًا؛ بيّن أن ذلك إنما يحصل بتقديره وقضائه.(٢)

٣١- ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ الأنعام:١٣٣.

اعلم أنه تعالى لما بيَّن أن لكل من أصحاب الطاعات والمعاصي درجات مخصوصة ومراتب معينة؛ بيَّن هنا أن تخصيص المطيعين والمذنبين بهذه الدرجات ليس لأجل أنه محتاج إلى طاعة المطيعين أو ينتقص بمعصية المذنبين.(٣)

٣٢- ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ الأنعام:١٣٥.

اعلم أنه لما قال تعالى سابقًا: ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ الأنعام:١٣٤؛ أمر رسوله بعده أن يهدد من ينكر البعث من الكفار.(٤)

---

(١) السابق (١٣/١٤٧).

(٢) السابق (١٣/١٤٩).

(٣) التفسير المنير (٨/٥١)، التفسير الكبير واللفظ له(١٣/١٥٣).

(٤) التفسير الكبير (١٣/١٥٦).

٣٣- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعۡرُوشَٰتٍ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۚ ...﴾الأنعام:١٤١.

لما ذكر تعالى تصرف المشركين في كثير مما أحل الله لهم من الحرث والأنعام، ذكر هنا نعمته عليهم بذلك، ووظيفتهم اللازمة عليهم في الحرث والأنعام. (١)

٣٤- ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمًا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ ...﴾ الأنعام:١٤٥.

لما ذكر تعالى ذمَّ المشركين على ما حرموه من الحلال ونسبوه إلى الله، أمر هنا رسوله ﷺ أن يبيِّن للناس ما حرمه الله عليهم؛ ليعلموا أن ما عدا ذلك حلال. (٢)

٣٥- ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٍ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ ...﴾ الأنعام:١٥١.

بعد أن بيّن الله تعالى المحرمات من المطعومات، أردفه هنا ببيان أصول المحرمات المعنوية والمادية قولًا وفعلًا.(٣)

* * * * * * *

(١) تيسير الكريم الرحمن (٢٧٦).

(٢) التفسير الكبير (١٣/١٦٧)، تيسير الكريم الرحمن واللفظ له(٢٧٧).

(٣) التفسير المنير (٨/٩٣).

سُورَةُ الأَعْرَاف

أولاً: مناسبة بداية سورة الأعراف لخاتمة سورة الأنعام:

١) ختم سورة الأنعام بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ... ﴾١٦٥، وبدأ سورة الأعراف بقصة أول خليفة في الأرض وهو آدم عليه الصلاة والسلام، وقال في قصة عاد: ﴿ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ...﴾ ٦٩، وفي قصة ثمود مثلها.(١)

٢) ختم سورة الأنعام بقوله: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ ...﴾ ١٥٣، وقوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ١٥٥، وافتتح سورة الأعراف أيضًا بالاتباع فقال: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ...﴾ ٣.(٢)

٣) ختم سورة الأنعام بقوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾١٦٠ وذلك لا يظهر إلا في الميزان، وافتتح سورة الأعراف بذكر الوزن.(٣)

٤) في آخر سورة الأنعام: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ ١٦٤، وفي أول سورة الأعراف وضح أنهم سيسألون في ذلك اليوم: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ الأعراف:٦.(٤)

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (٤٧).

(٢) السابق (٤٧).

(٣) السابق (٤٨).

(٤) السابق (٤٨).

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الأعراف لخاتمتها:

١) بدأت بقوله تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾٢، وختمت به: ﴿تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ ٢٠١.[١]

٢) بدأت بإنزال القرآن، وختمت بالأمر بالاستماع إليه. [٢]

٣) بدأت بقوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾٣، وختمت بـ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ... ﴾٢٠٣. [٣]

٤) وفي أولها وصف إبليس بالاستكبار، وفي آخرها ذكر وصف الملائكة بأنهم لا يستكبرون عن عبادة الله. [٤]

٥) في أولها: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ ٥٥، وفي آخرها: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ... ﴾٢٠٥.[٥]

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ الأعراف:٢٦.

اعلم أنه تعالى لما ذكر واقعة آدم في انكشاف العورة، أتبعه بأن بيَّن أنه خلق اللباس للناس؛ ليستروا به عورتهم. [٦]

---

(١) مراصد المطالع (٥١).

(٢) التفسير الموضوعي (٣/٤).

(٣) مراصد المطالع (٥١).

(٤) السابق (٥١).

(٥) السابق (٥١).

(٦) التفسير الكبير (١٤/٢٢١).

٢- ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ الأعراف:٣١.

اعلم أن الله تعالى لما أمر بالقسط في الآية الأولى: ﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ الأعراف:٢٩، وكان من جملة القسط أمر اللباس وأمر المأكول والمشروب أتبعه بذكرهما، وأيضًا لما أمر بإقامة الصلاة في قوله: ﴿ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ الأعراف:٢٩، وكان ستر العورة شرطا لصحة الصلاة؛ أتبعه بذكر اللباس. (١)

٣- ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ الأعراف:٣٣.

في مقابل الإباحة الأصلية التي قررتها الآيات السابقة، انتقل هنا إلى بيان المحرمات على وجه الإجمال. (٢)

٤- ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ ﴾ الأعراف:٣٧.

بعد أن ذكر الله عاقبة المكذبين بآياته المستكبرين عن قبولها، ذكر هنا أن من أشنعهم ظلمًا وأعظمهم بغيًا من يتقول على الله ما لم يقله. (٣)

٥- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ الأعراف:٤٢.

---

(١) التفسير الكبير (٢٢٨/١٤).

(٢) موضوعات سور القرآن (٤٢/١٥).

(٣) التفسير الكبير (٢٣٦/١٤)، التفسير المنير واللفظ له(٢٠٠/٨).

جرت سنة القرآن الجمع بين الوعد والوعيد؛ فبعد أن ذكر سبحانه وعيد الكافرين والعصاة، أتبعه بوعد المؤمنين الطائعين.[1]

٦- ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف:٥٢.

لما ذكر نسيانهم وجحودهم، بيَّن الله ﷻ هنا أن هذا حالهم رغم إنزاله الكتاب عليهم. [2]

٧- ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ الأعراف:٥٥.

لما ذكر الله ﷻ سابقًا ما يدل على عظمته وجلاله، مما يدل ذوي الألباب على أنه وحده المعبود المقصود في الحوائج كلها، أمر هنا بما يترتب على ذلك.[3]

٨- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ الأعراف:٥٧.

لما ذكر تعالى دلائل الإلهية، وكمال العلم والقدرة من العالم العلوي وهو: السموات والشمس والقمر والنجوم، أتبعه بذكر الدلائل من بعض أحوال العالم السفلي.[4]

٩- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ الأعراف:٩٤.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٣٧٣)، تيسير الكريم الرحمن (٢٨٩)، التفسير المنير واللفظ له(٨/٢٠٨).

(٢) نظم الدرر (٧/٤١٠) (بتصرف).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٢٩١).

(٤) التفسير الكبير (١٤/٢٨٦).

لما ذكر الله تعالى أحوال الأنبياء مع أقوامهم وما حل بهم من العذاب، بيَّن في هذه الآية أن هذا الهلاك لم يقتصر على زمن هؤلاء الأنبياء فقط، وإنما قد فعله بغيرهم من الأقوام. [1]

١٠- ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ الأعراف:٩٦.

اعلم أنه تعالى لما بيَّن في الآية السابقة أن الذين عصوا وتمردوا أخذهم بغتة؛ بيَّن في هذه الآية أنهم لو أطاعوا، لفتح الله عليهم أبواب الخير. [2]

١١- ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الأعراف:١٠٠.

اعلم أنه تعالى لما بيَّن فيما تقدم من الآيات حال الكفار الذين أهلكهم الله، أتبعه ببيان أن الغرض من ذكر هذه القصص حصول العبرة لجميع المكلفين. [3]

١٢- ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ الأعراف:١٥٨.

لما دعا الله ﷻ أهل التوراة من بني إسرائيل إلى اتباع الرسول ﷺ، ربما توهم متوهم أن الحكم مقصور عليهم، أتى هنا بما يدل على العموم. [4]

---

(١) التفسير المنير (١٤/٩).

(٢) التفسير المنير (١٨/٩)، التفسير الكبير واللفظ له(٣٢١/١٤).

(٣) التفسير الكبير (٣٢٢/١٤).

(٤) روح المعاني (٧٨/٥)، تيسير الكريم الرحمن واللفظ له(٣٠٥).

١٣- ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ الأعراف:١٥٩.

اعلم أنه تعالى لما وصف الرسول ﷺ، وذكر أنه يجب على الخلق متابعته؛ ذكر أن من قوم موسى عليه الصلاة والسلام من اتبع الحق وهُديَ إليه. (١)

١٤- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ الأعراف:١٧٢.

انتقلت الآيات بعد تذكيرهم بالميثاق الخاص بهم إلى تذكيرهم بالميثاق العام الذي أخذه ﷻ على جميع بني آدم. (٢)

١٥- ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ الأعراف:١٧٥.

بعد أن ذكر الله تعالى أخذ الميثاق على الناس عامة وإقرارهم بأن الله ربهم؛ ضرب هنا مثلا للمكذبين بآياته.(٣)

١٦- ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ الأعراف:١٧٧.

اعلم أنه تعالى لما قال بعد تمثيلهم بالكلب: ﴿ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الأعراف:١٧٦ وزجر بذلك عن الكفر والتكذيب؛ أكده هنا في باب الزجر. (٤)

---

(١) التفسير الكبير (٣٨٧/١٥).

(٢) التفسير المنير (١٥٦/٩)، موضوعات سور القرآن واللفظ له(١٥٦/٩).

(٣) التفسير المنير (١٦٢/٩).

(٤) التفسير الكبير (٤٠٦/١٥).

١٧- ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ الأعراف:١٨٠.

اعلم أنه تعالى لما وصف المخلوقين لجهنم بقوله: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَـٰفِلُونَ ﴾ الأعراف:١٧٩؛ أمر بعده بذكر الله تعالى فقال: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾، وهذا كالتنبيه على أن الموجب لدخول جهنم هو الغفلة عن ذكر الله، والمخلص عن عذاب جهنم هو ذكر الله تعالى.[1]

١٨- ﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴾ الأعراف:١٨١.

اعلم أنه تعالى لما قال: ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ ... ﴾ الأعراف:١٧٩؛ أخبر بذلك أن كثيرًا من الثقلين مخلوقون للنار، بيَّن هنا أن كثيرًا منهم أيضًا مخلوقون للجنة.[2]

١٩- ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ الأعراف:١٨٢.

اعلم أنه تعالى لما ذكر حال الأمة الهادية العادلة: ﴿ وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴾ الأعراف:١٨١؛ أعاد ذكر المكذبين بآيات الله تعالى وما عليهم من الوعيد، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ وهذا يتناول جميع المكذبين.[3]

٢٠- ﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾ الأعراف:١٨٤.

---

(١) السابق (٤١٢/١٥).

(٢) السابق (٤١٧/١٥).

(٣) التفسير الكبير (٤١٨/١٥).

اعلم أنه تعالى لما بالغ في تهديد المعرضين عن آياته الغافلين عن التأمل في دلائله وبيناته؛ عاد إلى الجواب عن شبهاتهم فقال: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾.[1]

٢١- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ الأعراف:٢٠١.

لما كان العبد لابد أن يغفل وينال منه الشيطان، ذكر تعالى هنا علامة المتقين الناجين من وسوسة الشيطان. [2]

٢٢- ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الأعراف:٢٠٤.

لما ذكر الله ﷻ سابقًا أن القرآن فيه بصائر وأنه هدى ورحمة، أمر هنا بالإنصات إليه عند تلاوته. [3]

٢٣- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴾ الأعراف:٢٠٦.

لما رغب الله رسوله في الذكر والمواظبة عليه، ذكر بعده ما يقوي دواعيه بأن ذكر حال الملائكة ومواظبتهم على السجود لله ﷻ. [4]

* * * * * * *

---

(١) السابق (١٥/٤١٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٣١٣) (بتصرف).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/٤٨٤) (بتصرف).

(٤) التفسير الكبير (١٥/٤٤٥).

سُورَةُ الأَنفَال

أولاً: مناسبة بداية سورة الأنفال لخاتمة سورة الأعراف:

١) في آخر سورة الأعراف ذكر الملائكة وعبادتهم لله، وفي سورة الأنفال ذكر نصرتهم للمؤمنين.

٢) في آخر سورة الأعراف حديث عن دعاء الله وذكره، وفي بداية سورة الأنفال الحديث عن حال المؤمنين عند الذكر وتلاوة القرآن.[١]

٣) أن سورة الأنفال في بيان حال الرسول ﷺ مع قومه، وسورة الأعراف مبيّنة لأحوال أشهر الرسل مع أقوامهم. [٢]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الأنفال لخاتمتها:

١) بدأت بالحديث عن الأنفال وهي الغنائم التي غنمها المسلمون يوم بدر، وختمت بالحديث عن أسرى بدر وهم من الغنائم أيضًا.[٣]

٢) ذكر أولها: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ ... ﴾ ٤، وختم بها.[٤]

٣) تحدث في أول السورة عن تحريم الفرار من المعركة، وفي آخرها تحدث عن تنظيم للعدد الذي عليه ألا يفر منه. [٥]

---

(١)روح المعاني (١٤٧/٥)

(٢) التفسير المنير (٢٣٦/٩).

(٣) التفسير الموضوعي (١٣٣/٣).

(٤) مراصد المطالع (٥١).

(٥) التفسير الموضوعي (١٣٣/٣).

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾ الأنفال:٢٠.

١) لما أخبر تعالى في ختام الآية السابقة أنه مع المؤمنين، أمرهم أن يقوموا بمقتضى الإيمان الذي يدركون به معيته. (١)

٢) اعلم أنه تعالى لما خاطب المؤمنين بقوله: ﴿ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا ﴾ الأنفال:١٩، أتبعه بتأديبهم فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾، ولم يبيِّن أنهم ماذا يسمعون إلا أن الكلام من أول السورة إلى هنا لما كان واقعًا في الجهاد؛ علم أن المراد وأنتم تسمعون دعاءه إلى الجهاد. (٢)

٢- ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ الأنفال:٢٥.

اعلم أنه تعالى كما حذر الإنسان أن يحال بينه وبين قلبه؛ فكذلك حذره من الفتن، والمعنى: واحذروا فتنة إن نزلت بكم لم تقتصر على الظالمين خاصة، بل تتعدى إليكم جميعا وتصل إلى الصالح والطالح. (٣)

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣١٨).

(٢) التفسير الكبير (١٥/٤٦٩).

(٣) السابق (١٥/٤٧٣).

٣- ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ الأنفال:٢٦.

عطف على الأمر بالاستجابة لله فيما يدعوهم إليه، وعلى إعلامهم بأن الله لا تخفى عليه نياتهم، ذكرهم هنا بنعمة الله عليهم بالعزة والنصر بعد الضعف والقلّة والخوف.(١)

٤- ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ الأنفال:٢٨.

لما حذر الله ﷿ سابقًا من خيانة الله والرسول ﷺ وخيانة الأمانة، بيَّن هنا أن الأموال والأولاد فتنة قد تحمل العبد محبتهم على تقديم هوى نفسه فيهم على أداء أمانته، وربما حملته على الخيانة في أمانته لأجلهم. (٢)

٥- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ الأنفال:٢٩.

اعلم أنه تعالى لما حذر من الفتنة بالأموال والأولاد؛ رغب في التقوى التي توجب ترك الميل والهوى في محبة الأموال والأولاد. (٣)

٦- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ الأنفال:٣١.

---

(١) السابق (٤٧٤/١٥)، التحرير والتنوير واللفظ له(٣١٨/٩).

(٢) التحرير والتنوير(٣٢٤/٩)، تيسير الكريم الرحمن (٣١٩) (بتصرف).

(٣) التفسير المنير (٢٠١/٩)، التفسير الكبير واللفظ له(٤٦٧/١٥).

اعلم أنه تعالى لما حكى مكرهم في شأن الرسول ﷺ؛ حكى هنا مكرهم في دينه وكتابه.[1]

٧- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ الأنفال:٣٦.

١) اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال هؤلاء الكفار في الطاعات البدنية؛ أتبعها بشرح أحوالهم في الطاعات المالية.[2]

٢) لما ذكر صدّ الكفار للمسلمين عن المسجد الحرام، عقب بذكر محاولتهم استيصال المسلمين وصدَّهم عن الإسلام.[3]

٨- ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ الأنفال:٣٨.

اعلم أنه تعالى لما بيَّن عباداتهم البدينة والمالية سابقًا؛ أرشدهم هنا إلى طريق الصواب.[4]

٩- ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ .. ﴾الأنفال:٤١.

---

(١) التفسير الكبير (٤٧٨/١٥)، نظم الدرر (٢٦٨/٨).

(٢) التفسير المنير (٣١٨/٩)، التفسير الكبير واللفظ له(٤٨١/١٥).

(٣) التحرير والتنوير (٣٤٠/٩).

(٤) التفسير الكبير (٤٨٣/١٥).

اعلم أنه تعالى لما أمر بالمقاتلة في قوله: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ... ﴾ الأنفال:٣٩ ؛ ومن المعلوم أنه قد تحصل الغنائم عند المقاتلة، ذكرها هنا.[١]

١٠- ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾الأنفال:٤٧.

عطف على جملة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾الأنفال:٤٥؛ إكمالا لأسباب النجاح والفوز عند اللقاء، بأن يتلبسوا بما يدنيهم من النصر، وأن يتجنبوا ما يفسد إخلاصهم في الجهاد. [٢]

١١- ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ الأنفال:٥٠.

اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال هؤلاء الكفار؛ شرح أحوال موتهم والعذاب الذي يصل إليهم في ذلك الوقت. [٣]

١٢- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الأنفال:٥٣.

استئناف بياني والإشارة إلى مضمون قوله: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾

---

(١) التفسير المنير (٦/١٠)، التفسير الكبير واللفظ له(٤٨٤/١٥).

(٢) التحرير والتنوير (٣٢/١٠).

(٣) التفسير الكبير (٤٩٣/١٥).

الأنفال:٥٢، أي: ذلك الأخذ بسبب أعمالهم التي تسببوا بها في زوال نعمتهم، وأن الله لا يغير نعمه على العباد إلا من أنفسهم.[١]

١٣- ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ﴾ الأنفال:٥٩.

اعلم أنه تعالى لما بيَّن ما يفعل الرسول ﷺ في حق من يجده في الحرب ويتمكن منه، وذكر أيضًا ما يجب أن يفعله فيمن ظهر منه نقض العهد، بيَّن هنا حال من فاته في يوم بدر وغيره؛ لئلا يبقى حسرة في قلبه فقد كان فيهم من بلغ في أذية الرسول ﷺ مبلغًا عظيمًا.[٢]

١٤- ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ الأنفال:٦١.

اعلم أنه لما بيَّن ما يرهب به العدو من القوة والاستظهار، بيَّن بعده أنهم عند الإرهاب إذا جنحوا أي :مالوا إلى الصلح؛ فالحكم قبول الصلح.[٣]

١٥- ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الأنفال:٦٢.

اعلم أنه تعالى لما أمر في الآية المتقدمة بالصلح: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ الأنفال:٦١؛ ذكر في هذه الآية حكمًا من أحكام الصلح وهو أنهم إن صالحوا على سبيل المخادعة، وجب قبول ذلك الصلح؛ لأن الحكم يبنى على الظاهر لأن الصلح لا يكون أقوى حالا من الإيمان؛ فلما بنينا أمر الإيمان على الظاهر لا على الباطن، فهاهنا أولى.[٤]

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/٤٤).

(٢) التفسير الكبير (١٥/٤٩٨).

(٣) السابق (١٥/٥٠٠).

(٤) السابق (١٥/٥٠١).

١٦- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾الأنفال:٧٠.

اعلم أن الرسول ﷺ لما أخذ الفداء من الأسارى وشق ذلك عليهم؛ ذكر الله هذه الآية استمالة لهم. (١)

* * * * * * *

(١) السابق (٥١٣/١٥).

سُورَةُ التَّوْبَةِ

أولاً: مناسبة بداية سورة التوبة لخاتمة سورة الأنفال:

١) بدأت سورة التوبة بنبذ العهود، وفي الأنفال ببيان العهود والوفاء بها. (١)

٢) ذكر في السورتين الصد عن المسجد الحرام. (٢)

٣) هذا مع التناسب التام بين السورتين وكأنهما موضوع واحد.

ثانيًا: مناسبة بداية سورة التوبة لخاتمتها:

بدأت بقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ...﴾ ٣، وختمت بـ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ...﴾ ١٢٩.(٣)

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾التوبة:٦.

لما كان ما تقدم من قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ... ﴾ التوبة:٥ أمرًا عامًا في جميع الأحوال وفي كل الأشخاص، ذكر تعالى أن المصلحة إذا اقتضت تقريب بعضهم، وجب ذلك. (٤)

---

(١) التفسير المنير (١٠/٩٢).

(٢) السابق (١٠/٩٢).

(٣) مراصد المطالع (٥٢).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٣٢٩).

٢- ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ التوبة:١٦.

اعلم أن الآيات المتقدمة كانت مرغبة في الجهاد، والمقصود من هذه الآية مزيد بيان في الترغيب.[١]

٣- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ التوبة:٢٠.

اعلم أنه تعالى لما ذكر ترجيح الإيمان والجهاد على السقاية وعمارة المسجد الحرام في الآية السابقة على طريق الرمز؛ أتبعه هنا بذكر هذا الترجيح على سبيل التصريح.[٢]

٤- ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا ... ﴾ التوبة:٢٥.

اعلم أنه تعالى ذكر في الآية المتقدمة أنه يجب الإعراض عن مخالطة الآباء والأبناء والإخوان والعشائر وعن الأموال والتجارات والمساكن؛ رعاية لمصالح الدين، ولما علم الله تعالى أن هذا يشق جدًا على النفوس والقلوب؛ ذكر ما يدل على أن من ترك الدنيا لأجل الدين، فإنه يوصله إلى مطلوبه من الدنيا أيضًا، وضرب تعالى لهذا مثلا، وذلك أن المسلمين في واقعة حنين كانوا في غاية الكثرة والقوة، فلما أعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين، ثم في حال الانهزام لما تضرعوا إلى الله قواهم؛ حتى هزموا عسكر الكفار.[٣]

---

(١) التفسير الكبير (٧/١٦).

(٢) السابق (١٣/١٦).

(٣) السابق (١٨/١٦).

٥- ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ التوبة:٣٠.

١) لما أمر تعالى بقتال أهل الكتاب، ذكر من أقوالهم الخبيثة ما يهيج المؤمنين الذين يغارون لربهم ولدينهم على قتالهم وجهادهم.[١]

٢) اعلم أنه تعالى لما حكم في الآية المتقدمة على اليهود والنصارى بأنهم لا يؤمنون بالله؛ شرح ذلك في هذه الآية.[٢]

٣) لما قال سابقًا: ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ ...﴾التوبة:٢٩، ذكر هنا أقوالهم التي تنافي الدين الحق.[٣]

٦- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ ... ﴾ التوبة:٣٤

اعلم أنه تعالى لما وصف رؤساء اليهود والنصارى بالتكبر والتجبر وادعاء الربوبية والترفع على الخلق، وصفهم في هذه الآية بالطمع والحرص على أخذ أموال الناس.[٤]

٧- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ التوبة :٣٨

اعلم أنه تعالى لما شرح معايب الكفار وفضائحهم، عاد هنا إلى الترغيب في مقاتلتهم.[٥]

---

(١) تيسير الكريم الرحمن(٣٣٤).

(٢) التفسير الكبير (٢٧/١٦).

(٣) التحرير والتنوير (١٦٧/١٠) (بتصرف).

(٤) التفسير الكبير (٣٣/١٦).

(٥) السابق (٤٦/١٦).

٨- ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ التوبة :٣٩.

اعلم أنه تعالى لما رغبهم في الآية السابقة في الجهاد بناءً على الترغيب في الثواب في الآخرة؛ رغبهم في هذه الآية في الجهاد بناءً على أنواع أخرى من الأمور المقوية للدواعي.[١]

٩- ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ ...﴾ التوبة:٤٠.

اعلم أن هذا ذكر طريق آخر في ترغيبهم في الجهاد؛ وذلك لأنه تعالى ذكر في الآية السابقة أنهم إن لم ينفروا باستنفاره ولم ينصروه، فإن الله ينصره. [٢]

١٠- ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾التوبة:٥٥.

تفريع على مذمة حالهم في أموالهم، لما قال سابقًا: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ ...﴾ التوبة:٥٤، فإن ما يراه المسلمين من هؤلاء المنافقين إنما هو من متاع الحياة الدنيا لا ينبغي أن يكون محل إعجاب المؤمنين؛ فإنها سبب في عذابهم في الدنيا وعدم منفعتها في الآخرة. [٣]

١١- ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ .. ﴾ التوبة:٦٠ .

---

(١) السابق (١٦/٤٨).

(٢) التفسير الكبير (١٦/٤٩).

(٣) نظم الدرر(٨/٥٠٠)، التحرير والتنوير (١٠/٢٢٧) (بتصرف).

لما ذكر الله ﷻ اعتراض المنافقين على النبي ﷺ، ولمزهم إياه في قسمة الصدقات، بيَّن تعالى هنا أنه هو الذي قسمها، وتولى أمرها بنفسه.[1]

١٢- ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ﴾التوبة:٦٣.

هذه الجملة تعليل لقوله تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ التوبة:٦٢؛ لأن العاقل لا يرضى لنفسه عملًا يؤول به إلى مثل هذا العذاب.[2]

١٣- ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ التوبة:٧٠.

لما قرر سبحانه بالآية السابقة تشابههم في التمتع بالعاجل، وختمها بهذا الختام المؤذن بالانتقام، اتبع ذلك بتخويفهم من مشابهتهم فيما حل بطوائف من أمم أخرى ملتفتًا إلى مقام الغيبة؛ لأنه أوقع في الهيبة.[3]

١٤- ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾التوبة:٨٢.

لما آثر المنافقين ما يفنى على ما يبقى ولما فروا من المشقة الخفيفة المنقضية إلى المشقة الشديدة الدائمة يوم القيامة ، قال لهم تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا ﴾.[4]

---

(١) التفسير الكبير (٧٧/١٣)، تفسير القرآن العظيم واللفظ له(١٤٥/٤).

(٢) التحرير والتنوير (٢٤٦/١٠).

(٣) نظم الدرر (٥٤٠/٨).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٣٤٦).

١٥- ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾التوبة:٨٨.

لما ذكر سابقًا أن قعود المنافقين عن الجهاد كان بسبب كفرهم بالرسول ﷺ، ذكر هنا أن المؤمنين على الضد من ذلك.[١]

١٦- ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ ...﴾ التوبة:٩١.

بعد أن ذكر الله الوعيد لمن يوهم العذر أو ينتحله - مع أنه لا عذر له-، ذكر أصحاب الأعذار الحقيقية، وبيَّن إسقاط فريضة الجهاد عنهم.[٢]

١٧- ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾التوبة:١٠٠.

اعلم أنه تعالى لما ذكر فضائل الأعراب الذين يتخذون ما ينفقون قربات عند الله؛ بيَّن أن فوق منزلتهم منازل أعلى وأعظم وهم المذكورون في الآية.[٣]

١٨- ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾التوبة:١٠٤.

---

(١) فتح القدير (٤٤٤/٢)، التحرير والتنوير (٢٩٠/١٠).

(٢) التفسير المنير (٣٤٨/١٠).

(٣) التحرير والتنوير (١٧/١١)، التفسير المنير (٢٠/١١)، التفسير الكبير واللفظ له(١٢٧/١٦).

لما قال تعالى سابقًا: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ...﴾ التوبة:١٠٣، كانت الآية مستأنفة لترغيب أمثال أولئك في التوبة ممن تأخروا عنها.(١)

١٩- ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ التوبة:١٠٥.

لما قال سابقًا : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ... ﴾ التوبة:١٠٤، أخبرهم هنا بالعمل بعد قبول التوبة.(٢)

٢٠- ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ التوبة:١١٢.

اعلم أنه تعالى لما ذكر في الآية السابقة أنه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم؛ بيَّن في هذه الآية أن أولئك المؤمنون هم الموصوفون بهذه الصفات التسعة.(٣)

٢١- ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة :١٢٨.

اعلم أنه تعالى لما أمر رسوله أن يبلغ في هذه السورة إلى الخلق تكاليف شاقة يصعب تحملها إلا لمن خصه الله بالتوفيق؛ ختم السورة بما يوجب سهولة تحمل تلك التكليف وهو أن هذا الرسول منكم، فكل ما يحصل له من العز والشرف في الدنيا فهو عائد عليكم. (٤)

---

(١) التحرير والتنوير (١١/٢٤).

(٢) السابق (١١/٢٥).

(٣) السابق (١٦/١٥٢).

(٤) السابق (١٦/١٧٧).

سُورَةُ يُونُسَ

أولاً: مناسبة بداية سورة يونس لخاتمة سورة التوبة:

ختمت سورة التوبة بـ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ...﴾ ١٢٨، وبدأت سورة يونس بـ: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ...﴾ ٢.[1]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة يونس لخاتمتها:

١) كل سورة بدأت بالحديث عن الكتاب، ختمت به. [2]

٢) بدأت بالحديث عن الوحي قال تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ ...﴾ ٢، وختمت به: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ ١٠٩. [3]

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ ...﴾ يونس:٤.

اعلم أنه سبحانه لما ذكر الدلائل الدالة على إثبات المبدأ؛ أردفه بما يدل على صحة القول بالمعاد. [4]

---

(١) التفسير الموضوعي (٣/٣٠٧).

(٢) مراصد المطالع (٥٢).

(٣) السابق (٥٢).

(٤) التفسير الكبير (١٧/١٩٣).

٢- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ يونس:٧.

اعلم أنه تعالى لما أقام الدلائل على صحة ألوهيته وعلى صحة الحشر والنشر؛ شرع بعده في شرح أحوال من كفر به وأعرض عن أدلة وجوده. [١]

٣- ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ يونس:١٠.

اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال المنكرين في الآية السابقة؛ ذكر هنا أحوال المؤمنين المصدقين. [٢]

٤- ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ يونس:١٢.

اعلم أنه تعالى لما بيَّن في الآية السابقة أنه لو أنزل العذاب على العبد في الدنيا، لهلك أو لقضي عليه؛ بيَّن هنا ما يدل على غاية ضعفه وعجزه.[٣]

٥- ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ يونس:١٣.

لما تعجل الناس سابقًا بإنزال العذاب غرورًا منهم، بيَّن لهم الله هنا أنه أنزل العذاب بالأمم السابقة. [٤]

---

(١) التفسير المنير (١١/١١٤)، التفسير الكبير واللفظ له(١٧/٢١٠).

(٢) التفسير الكبير (١٧/٢١٣).

(٣) السابق (١٧/٢١٩).

(٤) التحرير والتنوير (١١/١١٢) (بتصرف).

٦- ﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرًا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ يونس:١٦.

بعد أن بيَّن سبحانه بطلان ما اقترحوه؛ بيَّن هنا حقيقة القرآن الكريم وأنه من عند الله تعالى نزل على النبي ﷺ بأمره ﷻ ومشيئته.(١)

٧- ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ يونس:١٧.

اعلم أنه لما طالب الكفار الرسول ﷺ الإتيان بقرآن غير ما أنزله عليهم؛ بيَّن لهم هنا أنه لا أحد في الدنيا أظلم على نفسه ممن كذب على الله. (٢)

٨- ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ يونس:١٨.

لما ذكر سابقًا حال الكافرين مع القرآن إذا تُلي عليهم، وعظيم جنايتهم حينها، ذكر هنا جناية أخرى لهم وهي عبادة ما لا ينفع ولا يضر. (٣)

٩- ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخۡتَلَفُواْۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ يونس:١٩.

---

(١) موضوعات سور القرآن (٤٢/٧).

(٢) التفسير الكبير (٢٢٦/١٧) (بتصرف).

(٣) موضوعات سور القرآن (٤٣/٧)، التحرير والتنوير (١٢٤/١١)، روح المعاني (٨٦/٦) (بتصرف).

بعد أن أقام الله تعالى الأدلة على بطلان عبادة الأصنام؛ بيَّن أن سبب ذلك في الناس هو: الاختلاف واتباع الهوى والباطل.[1]

١٠- ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا ... ﴾ يونس:٢٢.

لما ذكر تعالى القاعدة العامة في أحوال الناس عند نزول الرحمة بهم بعد الضراء، ذكر هنا حالة تؤيد ذلك وهي حالهم في البحر عند اشتداد الخوف.[2]

١١- ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ ...﴾ يونس:٢٤.

١) ذكرت الآيات مثالا آخر لسرعة انتهاء الحياة الدنيا وقصر متاعها.[3]

٢) لما كان سبب بغي الناس هو حرصهم على الدنيا وإفراطهم في التمتع بنعيمها، أتبعه بهذا المثل العجيب لمن يبغي في الأرض ويغتر بالدنيا.[4]

١٢- ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يونس:٢٥.

بعد أن بيَّنت الآيات الكريمة حقيقة الدنيا وزهدت الناس بها، بيَّنت هنا مافي الجنة من نعيم؛ لترغيبهم في الآخرة.[5]

---

(١) التفسير المنير (١٣٥/١١) (بتصرف).

(٢) التفسير الكبير (٢٣٢/١٧)، تيسير الكريم الرحمن (٣٦١) (بتصرف).

(٣) التفسير الكبير (٢٣٦/١٧)، التحرير والتنوير (١٤١/١١)، موضوعات سور القرآن واللفظ له(٥٠/٧).

(٤) التفسير المنير (١٤٨/١١).

(٥) التفسير الكبير (٢٣٨/١٧)، تفسير القرآن العظيم (٢٦١/٤)، تيسير الكريم الرحمن (٣٦١)، التفسير المنير (١٥٢/١١)، موضوعات سور القرآن واللفظ له(٥١/٧).

١٣- ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾يونس:٢٦.

اعلم أنه تعالى لما دعا عباده إلى دار السلام؛ ذكر هنا أنواع السعادة التي تحصل لهم فيها.[١]

١٤- ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۢ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ يونس:٢٧.

لما أخبر تعالى عن حال السعداء وما كتب لهم من الحسنات، عطف بذكر حال الأشقياء.[٢]

١٥- ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ﴾ يونس:٢٨.

بعد أن بيّن الله تعالى مصير المحسنين والمسيئين يوم القيامة؛ أعقبه بذكر يوم الجزاء الذي يتم فيه حشرهم.[٣]

١٦- ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ يونس:٣٥.

قال الشوكاني -رحمه الله-:" الاستدلال بالهداية بعد الاستدلال بالخلق وقع كثيرًا في القرآن، كقوله تعالى:

---

(١) التفسير الكبير (٢٣٩/١٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢٦٣/٤).

(٣) التحرير والتنوير (١٤٩/١١)، التفسير المنير واللفظ له(١٥٨/١١).

﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾طه:٥٠

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴾ الشعراء: ٧٨

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ الأعلى:١-٣". [١]

١٧- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ يونس:٤٤.

حتى لا يظن ظانّ أن الله ﷻ ظلم المشركين بعدم توفيقهم للهداية والإيمان، فقد أعطاهم سبحانه كل أسباب الهداية. [٢]

١٨- ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ يونس:٤٥.

لما وصف الله تعالى الكفار بعدم الإصغاء وترك التدبر وتكذيبهم القرآن الكريم والنبي ﷺ، أتبعه بالوعيد في الآخرة على ما كان منهم في الدنيا.[٣]

١٩- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ يونس:٤٨.

لما ذكر في الآية السابقة: ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ ... ﴾ يونس:٤٦، أتبعه هنا بتهكم الكافرين على تأخير هذا الوعيد.[٤]

٢٠- ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارًا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ يونس:٥٠.

---

(١) فتح القدير (٢/٥٠٥).

(٢) موضوعات سور القرآن (١/٧٨).

(٣) التفسير المنير (١١/١٨٧).

(٤) التحرير والتنوير (١١/١٨٨) (بتصرف).

لما ذكر الله ﷻ سابقًا سؤال الكافرين: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ يونس:٤٨، ذكر هنا ثاني جواب لسؤالهم.[١]

٢١- ﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾ يونس:٥٣.

لما ذكر سابقًا سؤالهم: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ يونس:٤٨ استخفافًا منهم واستبطاءً للوعد، ذكر هنا سؤال آخر من أسئلتهم الذي يستخفون بها بشأن الرسول ﷺ وبما جاء به.[٢]

٢٢- ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ يونس:٥٥.

اعلم أنه سبحانه لما قال سابقًا ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ ... ﴾ يونس:٥٤، قال في هذه الآية ليس للظالم شيء يفتدي به؛ فإن كل الأشياء ملك الله تعالى.[٣]

٢٣- ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ يونس:٦٥.

المذكور هنا نوع من أنواع الحزن المنفي في قوله تعالى: ﴿ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ يونس:٦٢.[٤]

---

(١) السابق (١١/١٩١) (بتصرف).

(٢) السابق (١١/١٩٥) (بتصرف).

(٣) التفسير الكبير (١٧/٢٦٦).

(٤) التحرير والتنوير(١١/٢٢٠).

٢٤- ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يونس:٦٨.

بعد أن حكى الله تعالى قول المشركين وأفعالهم باتخاذ الأوثان وردَّ عليهم ردًا مقنعًا، ذكر هنا نوعًا آخر من أباطيلهم وهو: نسبة الولد إلى الله تعالى. [١]

٢٥- ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ يونس:٩٨.

اعلم أنه تعالى لما قال سابقًا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ يونس:٩٦، أتبعه بهذه الآية؛ لأنها دالة على أن قوم يونس آمنوا بعد كفرهم وانتفعوا بإيمانهم. [٢]

* * * * * * *

(١) التفسير المنير (١١/٢٢٠).

(٢) التفسير الكبير (١٧/٣٠٢).

سُورَةُ هُودٍ

أولاً: مناسبة بداية سورة هود لخاتمة سورة يونس:

ختمت سورة يونس بقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ ...﴾ ١٠٩، وبدأت سورة هود بقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ ١، وهو تفصيل لما أمر باتباعه.[1]

ثانيًا: مناسبة بداية السورة هود لخاتمتها:

١) بدأت بالحديث عن الكتاب، وختمت به.[2]

٢) بدأت بقوله تعالى: ﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ ... ﴾ ٢، وختمت به: ﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾١٢٣.[3]

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾هود:٦.

اعلم أنه تعالى لما ذكر في الآية السابقة أنه يعلم ما يسرون وما يعلنون؛ أردفه بما يدل على كونه عالمًا بجميع المعلومات.[4]

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (٥٥).

(٢) مراصد المطالع (٥٢) .

(٣) التفسير الموضوعي (٣/٤٤٧).

(٤) التفسير المنير (١٢/٢٠)، التفسير الكبير واللفظ له(١٧/٣١٨).

٢- ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ ... ﴾ هود:١٧.

بعد أن ذكر الله تعالى من كان يريد الدنيا وزينتها ولا يهتم بالآخرة وأعمالها؛ أعقبه بذكر من يريد الآخرة ويعمل لها ومعه شاهد يدل على صدقه وهو القرآن.(١)

٣- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ هود:٢٣.

لما ذكر الله سابقًا حال الأشقياء، ذكر هنا أوصاف السعداء وما لهم عند الله من الثواب. (٢)

٤- ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ هود:٢٤.

بعد أن بيَّن الله ﷻ الاختلاف بيَّن حال المشركين وحال الذين آمنوا وعملوا الصالحات؛ أعقبه بضرب مثال يبيِّن حال الفريقين. (٣)

٥- ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ هود:١١٤.

اعلم أنه تعالى لما أمره بالاستقامة، أردفه بالأمر بالصلاة؛ ليدل على أن أعظم العبادات بعد الإيمان بالله هو الصلاة. (٤)

---

(١) التفسير المنير (٤٠/١٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢٧٣/٤)، التحرير والتنوير(٣٩/١٢)، تيسير الكريم الرحمن واللفظ له(٣٧٩).

(٣) التحرير والتنوير (٤٠/١٢) (بتصرف).

(٤) التفسير الكبير (٤٠٧/١٨).

٦- ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾ هود:١١٦.

بعد أن بيَّن الله تعالى ما حلَّ بالأمم السابقة المكذبة لرسلها من عذاب الاستئصال في الدنيا، واستحقاق النار في الآخرة، ذكر هنا سبب العذاب وهو أمران:

١) أنه ما كان فيهم قوم ينهون عن الفساد في الأرض.

٢) أن الظالمين اتبعوا طلب الشهوات واللذات.[١]

٧- ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ هود:١١٨.

لما ذكر الله ﷻ سابقًا هلاك الأمم، وأنهم لو كانوا مصلحين لما أهلكوا، أعقبه بأنه قادر أن يجعلهم أمة واحدة متفقة على الحق.[٢]

٨- ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هود:١٢٠.

لما ذكر في هذه السورة من أخبار الأنبياء ما ذكر، ذكر هنا الحكمة من ذكر ذلك.[٣]

* * * * * * *

(١) التفسير المنير (١٢/١٧٧).

(٢) التحرير والتنوير (١٢/١٨٧) (بتصرف).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٣٩٢).

سُورَةُ يُوسُفَ

أولاً: مناسبة بداية سورة يوسف لخاتمة سورة هود:

١) ختمت سورة هود بقوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ ...﴾ ١٢٠، وبدأت سورة يوسف بقوله: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ...﴾ ٣.[1]

٢) وقيل أن سورة يونس وهود ويوسف رتبت في المصحف على حسب ترتيب نزولها من السماء. [2]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة يوسف لخاتمتها:

١) بدأت بقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ... ﴾٣، وختمت بـ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ... ﴾١١١. [3]

٢) بدأت بالحديث عن الكتاب، وختمت به. [4]

* * * * * * *

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (٥٦).

(٢) السابق (٥٦).

(٣) مراصد المطالع (٥٢).

(٤) السابق (٥٢) .

سُورَةُ الرَّعْدِ

أولاً: مناسبة بداية سورة الرعد لخاتمة سورة يوسف:

١) لما قال في سورة يوسف: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ ١٠٥، ذكر في سورة الرعد بعض هذه الآيات.[١]

٢) ختم سورة يوسف بالكتاب وأنه حق، وبدأ سورة الرعد بمثل ذلك.[٢]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الرعد لخاتمتها:

بدأت بالحديث عن الكتاب، وختمت به.[٣]

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ الرعد:٢.

لما ذكر الله ﷻ في الآية السابقة أن أكثر الناس لا يؤمنون، ذكر هنا الدليل الذي يوجب التصديق بالخالق.[٤]

٢- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الرعد:٣.

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (٥٧).

(٢) السابق (٥٧).

(٣) مراصد المطالع (٥٢) .

(٤) فتح القدير (٣/٧٧).

اعلم أنه تعالى لما قرر الدلائل السماوية على قدرته؛ أردفها بتقرير الدلائل الأرضية. (١)

٣- ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ الرعد:٥.

اعلم أنه تعالى لما ذكر الدلائل القاهرة على ما يحتاج إليه في معرفة المبدأ؛ ذكر بعده مسألة المعاد. (٢)

٤- ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥ... ﴾ الرعد:١٧.

اعلم أنه تعالى لما شبه المؤمن والكافر والإيمان والكفر بالأعمى والبصير والظلمات والنور؛ ضرب هنا للإيمان والكفر مثلًا آخر. (٣)

٥- ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ الرعد:١٨.

لما بيَّن تعالى سابقًا الحق من الباطل، ذكر هنا أن الناس على قسمين: متبع للحق وذكر ثوابه، ومتبع للباطل وذكر عقابه. (٤)

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣٦٩/٤)، التفسير الكبير واللفظ له(٥/١٩).

(٢) التفسير الكبير (٨/١٩).

(٣) السابق (٢٨/١٩).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٤١٦) (بتصرف).

٦- ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ الرعد:٢٦.

لما ذكر الله سابقًا حال الكافرين وفساد اعتقادهم في الأخلاق والسلوك، قد يقول قائل: فلماذا يوسع الله تعالى عليهم في الرزق، فجاء الجواب في الآية.[١]

٧- ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ﴾ الرعد:٢٧.

اعلم أن الكفار لما طالبوا الرسول ﷺ بالإتيان بمعجزة رد الله عليهم بهذه الآية؛ كأنه تعالى يقول إن الله أنزل عليه آيات ظاهرة، ولكن الإضلال والهداية من الله.[٢]

٨- ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ الرعد:٣٥.

لما ذكر سبحانه سابقًا ما يستحقه الكفار من العذاب في الدنيا والآخرة، ذكر هنا ما أعده للمؤمنين.[٣]

* * * * * * *

---

(١) فتح القدير (٩٦/٣)، موضوعات سور القرآن واللفظ له(٣٧/١٣).

(٢) التفسير الكبير (٣٩/١٩).

(٣) فتح القدير (١٠٣/٣).

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

أولاً: مناسبة بداية سورة إبراهيم لخاتمة سورة الرعد:

لما قال في سورة الرعد: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ٤٣، على أن المراد بـ "مَن" هو الله ﷻ، افتتح سورة إبراهيم بحديث عن الكتاب، فقال: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ... ﴾١.[1]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة إبراهيم لخاتمتها:

بدأت بالحديث عن الكتاب، وختمت به.[2]

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ إبراهيم:٩.

لما حذرهم الله انتقامه إن كفروا، ذكرهم أيامه في الأمم الماضية.[3]

٢- ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ إبراهيم:١٨.

لما ذكر تعالى عذاب الكافرين يوم القيامة؛ قد يقول قائل: ألا ينتفعون بأعمالهم الصالحة التي فعلوها في الدنيا؟، فجاء الجواب في الآية.[4]

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (٥٨).

(٢) مراصد المطالع (٥٢) .

(٣) نظم الدرر (٣٨٩/١٠).

(٤) موضوعات سور القرآن (٧٦/١٤).

٣- ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ إبراهيم:٢٣.

لما ذكر تعالى سابقًا مآل الكفار وما ساروا إليه من الخزي والنكال، عطف عليه بذكر مآل المؤمنين.(١)

٤- ﴿ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾ إبراهيم:٣١.

اعلم أنه تعالى لما أمر الكافرين على سبيل التهديد والوعيد بالتمتع بنعيم الدنيا؛ أمر المؤمنين في هذه الآية بترك التمتع بالدنيا والمبالغة في المجاهدة بالنفس والمال.(٢)

٥- ﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾ إبراهيم:٤٦.

اعلم أنه تعالى لما ذكر صفة عقابهم، أتبعها بذكر كيفية مكرهم.(٣)

٦- ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ إبراهيم:٤٨.

اعلم أن الله تعالى لما قال: ﴿عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ ٤٧؛ بيَّن وقت انتقامه، فقال: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾، وعظّم من حال ذلك اليوم؛ لأنه لا أمر أعظم في العقول والنفوس من تغيير السموات والأرض.(٤)

---

(١) فتح القدير (١٢٦/٣)، تفسير القرآن العظيم واللفظ له (٤٢٢/٤).

(٢) التفسير الكبير (٩٥/١٩).

(٣) السابق (١١٠/١٩).

(٤) السابق (١١١/١٩).

سُورَةُ الحِجْرِ

أولاً: مناسبة بداية سورة الحجر لخاتمة سورة إبراهيم:

١) ختمت سورة إبراهيم بقوله تعالى: ﴿هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ...﴾٥٢، وبدأت سورة الحجر بوصف هذا البلاغ، فقال: ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَـٰتُ ٱلۡكِتَـٰبِ وَقُرۡءَانٍ مُّبِينٍ ﴾١.[(١)]

٢) لما ختم سورة إبراهيم بحال الكافرين يوم القيامة وعقابهم، بيَّن في سورة الحجر أنهم حينها يتمنوا لو أنهم آمنوا؛ فقال: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾٢. [(٢)]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الحجر لخاتمتها:

١) بدأت وختمت بكيفية التعامل مع الكافرين، قال في أولها: ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾٣، وختمها بقوله: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾٩٤.[(٣)]

٢) بدأت بالحديث عن الكتاب، وختمت به. [(٤)]

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ الحجر:٩.

١) لما طالب المشركين الرسول ﷺ بإنزال الملائكة، ذكر هنا إنزال القرآن ويكفيهم ما فيه إن كانوا صادقين.[(١)]

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (٥٩).

(٢) السابق (٥٩).

(٣) التفسير الموضوعي (٩٦/٤).

(٤) مراصد المطالع (٥٢).

٢) استئناف لإبطال جزء من كلامهم المستهزئين به عندما قالوا ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ ﴾ الحجر:٦.[٢]

٢- ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِى شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ الحجر:١٠.

لما كذب المشركون الرسول ﷺ ، بيَّن هنا الله ﷻ لرسوله أن هذا لم يزل دأب الأمم السابقة والقرون الماضية.[٣]

٣- ﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ الحجر:١١.

اعلم أن القوم لما أساؤوا الأدب مع الرسول ﷺ بقولهم إنك لمجنون؛ ذكر الله هنا أن ذلك عادة الجهال مع جميع الأنبياء.[٤]

٤- ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴾ الحجر:٢٣.

لما جرى ذكر إنزال المطر وكان مما يسبق إلى الأذهان عند ذكر المطر إحياء الأرض به، ناسب أن يذكر بعده جنس الإحياء كله؛ لما فيه من غرض الاستدلال على الغافلين عن الوحدانية.[٥]

٥- ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ الحجر:٤٥.

لما ذكر تعالى حال أهل النار، عطف عليه بذكر حال أهل الجنة.[٦]

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤٢٩).

(٢) التحرير والتنوير (٢٠/١٤).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٤٢٩).

(٤) التفسير الكبير (١٢٤/١٩).

(٥) التحرير والتنوير (٣٩/١٤).

(٦) تفسير القرآن العظيم (٤٦١/٤).

٦- ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ الحجر:٤٩.

لما ذكر الله ﷻ سابقًا ما يوجب الرغبة والرهبة من مفعولات الله ﷻ من الجنة والنار، ذكر هنا ما يوجب ذلك من أوصافه تعالى. [1]

٧- ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الحجر:٨٨.

لما ذكر الله ﷻ سابقًا أنه قد أعطى نبيه القرآن العظيم، ذكره هنا بعدم النظر لزينة الدنيا والاستغناء بما آتاه الله من المثاني والقرآن العظيم. [2]

* * * * * * *

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤٣١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٧٠)، تيسير الكريم الرحمن (٤٣٤) (بتصرف).

سُورَةُ النَّحْلِ

أولاً: مناسبة بداية سورة النحل لخاتمة سورة الحجر:

١) ختمت سورة الحجر بالكلام عن الموت: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ ٩٩، وبدأ سورة النحل به: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾١.[1]

٢) ختمت سورة الحجر بالحديث عمن اتخذ آلهة من دون الله: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ٩٦، وبدأ سورة النحل بتنزيه الله ﷻ عن ذلك بقوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾١.[2]

٣) وختمت سورة الحجر بقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٩٢، وبدأ سورة النحل أنه قد أتى وقت سؤالهم وهو يوم الحساب: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ...﴾١.[3]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة النحل لخاتمتها:

بدأت بالنهي عن الاستعجال، وختمت بالأمر بالصبر.[4]

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ النحل:٤.

لما ذكر الله ﷻ سابقًا خلق السموات والأرض، ذكر هنا خلق ما فيهما وبدأ بأشرف المخلوقات وهو الإنسان.[5]

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (٦٠).

(٢) البرهان في تناسب سور القرآن (٢٤٢).

(٣) التفسير الموضوعي (٤/١٣٤).

(٤) مراصد المطالع (٥٣).

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٤٣٥).

٢- ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ النحل:٩.

لما ذكر تعالى سابقًا الطريق الحسي وأن الله قد جعل للعباد ما يقطعونه به من الإبل وغيرها، ذكر هنا الطريق المعنوي الموصل إليه. (١)

٣- ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ النحل:١٠.

لما ذكر تعالى ما أنعم به عليهم من الأنعام والدواب، شرع في ذكر نعمته عليهم في إنزال المطر مما لهم فيه بلغة ومتاع لهم ولأنعامهم.(٢)

٤- ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ﴾ النحل:١٩.

عطف على جملة ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ النحل:١٧، فبعد أن أثبت الله أنه منفرد بصفة الخلق دون غيره؛ انتقل هنا إلى إثبات أنه منفرد بعموم العلم.(٣)

٥- ﴿قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ النحل:٢٦.

لما ذكر عاقبة إضلالهم وصدهم للسائلين عن القرآن والإسلام في الآخرة، أتبع بالتهديد بأن يقع لهم ما وقع فيه أمثالهم في الدنيا من الخزي والعذاب. (٤)

٦- ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ النحل:٣٠.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٨٠)، التحرير والتنوير (١٤/١١١)، تيسير الكريم الرحمن واللفظ له (٤٣٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٨١).

(٣) التحرير والتنوير (١٤/١٢٤).

(٤) السابق (١٤/١٣٣).

لما ذكر الله سابقًا قول المكذبين بما أنزل الله، ذكر هنا ما قاله المتقون.[1]

٧- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ...﴾ النحل:٣٦.

بيان لمضمون جملة: ﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ النحل:٣٥، وهو تكملة لإبطال شبهة المشركين بطريقة التفصيل بعد الإجمال؛ لزيادة تقرير الحجة.[2]

٨- ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴾ النحل:٣٩.

لما ذكر سابقًا قسم الكفار على نفي البعث ورد الله عليهم بنفي نفيهم، بيَّن هنا سبحانه وتعالى الحكمة من هذا البعث.[3]

٩- ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ النحل:٤٠.

في الآية بيان للجملة التي قبلها وهي: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ النحل:٣٨؛ فإن جهلهم بمدى قدرة الله تعالى هو الذي جرأهم على إنكار البعث.[4]

١٠- ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ النحل:٤١.

اعلم أنه تعالى لما حكى عن الكفار أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم على إنكار البعث والقيامة، دل ذلك على أنهم تمادوا في الغي والجهل والضلال، وفي مثل هذه الحالة

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤٣٩).

(٢) التحرير والتنوير (١٤/١٤٩).

(٣) السابق (١٤/١٥٥)، تيسير الكريم الرحمن (٤٤٠)، موضوعات سور القرآن واللفظ له (١٦/٤٥).

(٤) التحرير والتنوير (١٤/١٥٥).

لا يبعد إقدامهم على إيذاء المسلمين وضرهم، وإنزال العقوبات بهم؛ وحينئذ يلزم على المؤمنين أن يهاجروا عن تلك الديار والمساكن، فذكر تعالى في هذه الآية حكم تلك الهجرة. (١)

١١- ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾ النحل:٥٠.

لما مدح الله ﷻ سابقًا مخلوقاته بكثرة الطاعة والخضوع له، مدحهم هنا بالخوف منه ﷻ.(٢)

١٢- ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ النحل:٦٠.

لما ذكر الله ﷻ سابقًا أمثال السوء التي نسبها إليه أعداءه المشركين في قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ النحل:٥٧، بيَّن هنا أن المثل الناقص والعيب التام لهم وليس لله ﷻ. (٣)

١٣- ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ النحل:٦١.

اعلم أنه تعالى لما حكى عن القوم عظيم كفرهم وقبيح قولهم؛ بيَّن هنا أنه يمهل هؤلاء الكفار ولا يعاجلهم بالعقوبة إظهارًا للفضل والرحمة.(٤)

---

(١) التفسير الكبير (٢٠/٢٠٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٤٤٢).

(٣) السابق.

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٤٤٣)، التفسير الكبير واللفظ له (٢٠/٢٢٦).

١٤- ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ النحل:٦٧.

لما ذكر تعالى سابقًا اللبن وأنه جعله شرابًا سائغًا، ثنّى بذكر مايتخذه الناس من أشربة من ثمرات النخيل والأعناب.[١]

١٥- ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ النحل:٨٢.

لما قال سابقًا: ﴿ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ النحل:٨١، فكان المعنى: كذلك يتم نعمته عليكم؛ لتسلموا، فإن لم يسلموا، فإنما عليك البلاغ.[٢]

١٦- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ النحل:٩٠.

لما ذكر الله ﷻ أنه نزل الكتاب تبيانًا لكل شيء، ذكر هنا ما يبيّن كمال الشريعة؛ فبيَّن أصلًا من أصولها الكبرى.[٣]

١٧- ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ النحل:٩١.

لما أمر الله ﷻ سابقًا بما هو واجب في أصل الشرع، أمر هنا بوفاء ما أوجبه العبد على نفسه.[٤]

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٩٨).

(٢) التحرير والتنوير (١٤/٢٤١).

(٣) التحرير والتنوير(١٤/٢٥٤)، موضوعات سور القرآن واللفظ له (١٦/٩٦).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٤٤٧).

١٨- ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ النحل:٩٧.

لما كان الوعد المتقدم بقوله تعالى: ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ النحل:٩٦، خاصًا بأولئك الذين نهوا عن أن يشتروا بعهد الله ثمنًا قليلًا، عقب بتعميمه لكل من ساواهم في الثبات على الإسلام والعمل الصالح. (١)

١٩- ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ النحل:٩٨.

١) بعد أن بيَّن الله تعالى أنه يجزي المؤمنين بأحسن أعمالهم؛ أرشدهم إلى العمل الذي تخلص به أعمالهم من وساوس الشيطان. (٢)

٢) لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه، وصل به قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾ ؛ إيذانًا بأن الاستعاذة من جملة الأعمال الصالحة التي يجزل الله عليها بالثواب. (٣)

٢٠- ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ﴾ النحل:١٠٣.

عطف على جملة: ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ ...﴾ النحل:١٠١، وهنا إبطال لتلبيس آخر مما يلبسون به على عامتهم، وذلك قولهم إن محمدا يتلقى القرآن من رجل من أهل مكة. (٤)

---

(١) التحرير والتنوير (٢٧٢/١٤).

(٢) فتح القدير (٢٣١/٣)، التفسير المنير واللفظ له (٢٣٢/١٤).

(٣) الكشاف (٦٣٣/٢).

(٤) التحرير والتنوير (٢٨٦/١٤).

٢١- ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ النحل:١١٠.

بعدما ذكر سابقًا التشديد والوعيد للمرتدين، فتح الله تعالى لهم بابًا للتوبة.(١)

٢٢- ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ النحل:١١٢.

بعد أن هدد الله الكفار بالوعيد الشديد في الآخرة؛ هددهم أيضًا بآفات الدنيا من جوع وخوف. (٢)

٢٣- ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ النحل:١١٥.

ذكر الله سابقًا الأمر بشكر النعم، ومن الشكر أن يقف الإنسان عند حدود ما أحلَّ الله له. (٣)

٢٤- ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾ النحل:١١٦.

---

(١) موضوعات سور القرآن (١١١/١٦).

(٢) التفسير المنير (٢٥١/١٤).

(٣) موضوعات سور القرآن (١١٤/١٦).

اعلم أنه تعالى لما حصر المحرمات في الآية المذكورة سابقًا؛ بالغ هنا في تأكيد ذلك الحصر، وبيَّن زيف طريقة الكفار في الزيادة على هذه الأشياء المذكورة تارة وفي النقصان عنها تارة أخرى. (١)

٢٥- ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ النحل:١١٨.

١) لما ذكر سابقًا أن التحليل والتحريم من غير دليل شرعي افتراء على الله تعالى؛ ذكر هنا مثالًا واقعيًا لما يترتب على عدم الانقياد والتسليم. (٢)

٢) لما ذكر الله ﷻ ما حرمه على المسلمين، ذكر بعده هنا ما حرمه على اليهود. (٣)

* * * * * * *

---

(١) التفسير الكبير (٢٨١/٢٠).

(٢) موضوعات سور القرآن (١١٦/١٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٥٢٤/٤) (بتصرف).

سورة الإسراء

أولا: مناسبة بداية سورة الإسراء لخاتمة سورة النحل:

١) ختمت سورة النحل بالأمر بالصبر للرسول ﷺ؛ وكأنه تمهيد لما سيلاقيه ﷺ من مشقة في رحلة الإسراء وما سيلاقيه من كفار قريش بعد رجوعه.

٢) ختمت سورة النحل بمعية الله للمتقين والمحسنين وهي المعية التي كانت للرسول ﷺ في رحلة الإسراء التي جعلها الله مواساة للرسول ﷺ بعد وفاة خديجة رضي الله عنها ووفاة عمه أبو طالب. (١)

٣) ختمت سورة النحل ببيان تفضيل إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وبدأت سورة الإسراء ببيان منزلة نبينا **محمد** ﷺ . (٢)

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الإسراء لخاتمتها:

بدأت بالتسبيح وختمت بالتحميد وهما متتابعان حتى في الذكر نقول سبحان الله وبحمده. (٣)

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿ وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ﴾ الإسراء:١١.

اعلم أن وجه النظم هو أن الإنسان بعد أن أنزل الله عليه القرآن وخصه بهذه النعمة العظيمة والكرامة الكاملة، قد يعدل عن التمسك بشرائعه والرجوع إلى بياناته، ويقدم على ما لا فائدة فيه؛ فقال: ﴿ وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِ﴾.(٤)

---

(١) التفسير الموضوعي (١٣٥/٤) (بتصرف).

(٢) البرهان في تناسب سور القرآن (٢٤٣).

(٣) مراصد المطالع (٥٤).

(٤) التفسير الكبير (٣٠٤/٢٠).

٢- ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا﴾ الإسراء:١٨.

بعد أن بيَّن الله ارتباط كل إنسان بعمله؛ قسم العباد إلى قسمين: قسم يريد الدنيا ويعمل لها، وقسم يريد الآخرة.[١]

٣- ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ ...﴾ الإسراء:٢٣.

لما نهى الله ﷻ سابقًا عن الشرك، أمر هنا بالتوحيد.[٢]

٤- ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا﴾ الإسراء:٢٥.

لما حث الله ﷻ سابقًا على برِّ الوالدين، وعد هنا من أضمر بر والديه في نفسه وتوعَّد من أضمر عقوقهما.[٣]

٥- ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا﴾ الإسراء:٢٦.

بعد أن أمر الله ﷻ ببر الوالدين، أمر بالإحسان إلى الأقارب عامة.[٤]

٦- ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا﴾ الإسراء:٢٨.

---

(١) التفسير المنير (١٥/٤٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٤٥٦).

(٣) التحرير والتنوير (١٥/٧٤)، موضوعات سور القرآن واللفظ له (٨/٤٨).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٥/٦٣)، التحرير والتنوير (١٥/٧٦)، فتح القدير (٣/٢٦٣)، موضوعات سور القرآن واللفظ له (٨/٤٩).

عطف على قوله: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ الإسراء:٢٦؛ لأنه من تمامه، فإنه رُوي أن النبي ﷺ كان إذا سأله أحد مالًا ولم يكن عنده ما يعطيه، يعرض عنه حياء [١]، فنبهه الله إلى أدب أكمل من الذي تعهده من قبل، ويحصل من ذلك تعليم لسائر الأمة. [٢]

٧- ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ الإسراء:٢٩.

١-لما ذكر سبحانه سابقًا النهي عن التبذير ثم ذكر أدب من آداب منع النفقة، بيَّن هنا آداب الإنفاق. [٣]

٢- عودًا إلى بيان التبذير والشح، فالجملة عطف على جملة ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ ٢٦.[٤]

٨- ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ الإسراء:٣٠.

هذه الآية تعليل لما تقدم من الأمر بإيتاء ذي القربى والمساكين والنهي عن التبذير وعن الإمساك، فعليهم أن يمتثلوا ما أمرهم الله من ذلك، فليس الشح بمبقٍ مال الشحيح، ولا التبذير بمغن من يبذر فيهم المال؛ فإن الله قدر لكل نفس رزقها. [٥]

٩- ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ الإسراء:٣٨.

---

(١) أخرجه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ح(٧٠٩) وذكر أنه غريب.

(٢) التحرير والتنوير (١٥/٨٢).

(٣) فتح القدير (٣/٢٦٤).

(٤) التحرير والتنوير (١٥/٨٤).

(٥) السابق (١٥/٨٦).

تذييل للجمل المتقدمة ابتداءً من قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ...﴾ الإسراء:٢٣؛ باعتبار ما اشتملت عليه الآيات السابقة من الأوامر والنواهي.[١]

١٠- ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ الإسراء:٥٥.

لما ذكر الله ﷻ سابقًا أنه أعلم بالناس من أنفسهم، أخبر هنا بما هو أعم من ذلك؛ إعلامًا بأن علمه ليس مقصورًا عليهم، بل هو محيط بالسموات والأرض.[٢]

١١- ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾ الإسراء:٥٨.

لما عرّض بالتهديد للمشركين في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ الإسراء:٥٧، وتحداهم بقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم...﴾ الإسراء:٥٦، جاء بصريح التهديد على مسمع منهم بأن كل قرية مثل قريتهم في الشرك سيأتيها عذاب الاستئصال.[٣]

١٢- ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ الإسراء:٧٠.

---

(١) السابق (١٠٤/١٥).

(٢) نظم الدرر (٤٤٣/١١) (بتصرف).

(٣) التحرير والتنوير (١٤١/١٥).

لما ذكر سبحانه سابقًا ما يسّر لهم من البر، وما سهّل من شدائد البحر في معرض التهديد، أتبعه أنه فعل ذلك تكريمًا لهم على سائر مخلوقاته.[1]

١٣- ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ الإسراء:٧١.

١) يترتب على التكريم الذي هو بمنزلة التكليف مسؤولية الإنسان عن أعماله وما فيها من حساب وثواب وعقاب؛ لهذا قال تعالى هذا بعد آية تكريم الإنسان مباشرة.[2]

٢) اعلم أنه تعالى لما ذكر أنواع كرامات الإنسان في الدنيا؛ ذكر هنا أحوال درجاته في الآخرة. [3]

١٤- ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلاً ﴾ الإسراء:٨٦.

اعلم أنه تعالى لما بيَّن في الآية السابقة أنه ما آتاهم من العلم إلا قليلا؛ بيَّن في هذه الآية أنه لو شاء أن يأخذ منهم ذلك القليل أيضًا، لقدر عليه. [4]

١٥- ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّاۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ الإسراء:٩٧.

---

(١) نظم الدرر (٤٧٥/١١).

(٢) موضوعات سور القرآن (٨٠/٨) (بتصرف).

(٣) التفسير الكبير (٣٧٥/٢١).

(٤) التحرير والتنوير (٢٠٠/١٥)، التفسير الكبير واللفظ له (٤٠٥/٢١).

ارتقاء في التسلية للنبي ﷺ بعدما قال سابقًا: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ الإسراء:٩٦، أي: لا يحزنك عدم اهتدائهم؛ فإن الله حرمهم الاهتداء لما أخذوا بالعناد قبل التدبر في حقيقة الرسالة.(١)

١٦- ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ الإسراء:١١١.

لما أثبت تعالى لنفسه الأسماء الحسنى سابقًا، نزه نفسه هنا عن النقائص. (٢)

* * * * * * *

(١) التحرير والتنوير (٢١٤/١٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١١١/٥).

سُورَةُ الكَهْفِ

أولاً: مناسبة بداية سورة الكهف لخاتمة الإسراء:

١) سورة الإسراء والسور الأربع التي تليها مرتبة في المصحف بنفس ترتيب نزولها من السماء. [١]

٢) ختمت سورة الإسراء بالحمد، وبدأت به سورة الكهف.[٢]

٣) نفت سورة الإسراء أن يكون لله ولد، وسورة الكهف توعدت من ادعى لله ولد.[٣]

٤) سورة الإسراء تكلمت عن رحلة عجيبة، وسورة الكهف تكلمت عن ثلاث رحلات عجيبة: أصحاب الكهف، موسى والخضر، وذي القرنين. [٤]

٥) ومن مناسبتها أن اليهود طلبوا من المشركين أن يسألوا الرسول ﷺ عن ثلاثة أشياء: الروح، وعن قصة أصحاب الكهف، وعن قصة ذي القرنين [٥]، وقد ذكر جواب الأول في سورة الإسراء، والآخرين في سورة الكهف، فناسب اتصالهم ببعض.[٦]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الكهف لخاتمتها:

١) في بدايتها جاءت البشارة للمؤمنين بالأجر الحسن: ﴿ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ...﴾ ٢، وفي خاتمتها فصَّل ذكر هذا الأجر.[٧]

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (٦٢).

(٢) السابق (٦٢).

(٣) التفسير الموضوعي (٢٩٠/٤).

(٤) السابق (٢٩٠/٤).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٣/١٥).

(٦) أسرار ترتيب سور القرآن (٦٢).

(٧) التفسير الموضوعي (٢٨٩/٤).

٢) لما جاء في بدايتها دعوة للتنافس في أحسن العمل: ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ ٧، ذكر في خاتمتها التحذير من محبطات الأعمال: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلاً ﴾١٠٣.[(١)]

٣) بدأت بالحديث عن الكتاب، وختمت به. [(٢)]

قلت: وهذا غالبًا ، أن كل سورة بدأت بالحديث عن الكتاب، تختم به.

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ الكهف:٣٠.

لما ذكر تعالى حال الأشقياء، ثنّى بذكر حال السعداء. [(٣)]

وقد ذكرت سابقًا أن هذه عادة الله ﷻ في القرآن؛ أنه إذا ذكر الكفار أتبعه بذكر المؤمنين؛ ليحصل الاتعاظ بحال الفريقين. [(٤)]

٢- ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ الكهف:٥٢.

ولما ذكر حال من أشرك به في الدنيا، وأبطل هذا الشرك غاية الإبطال، وحكم بجهل صاحبه وسفّهه، أخبر عن حالهم مع شركائهم يوم القيامة، وأن الله يقول لهم: نادوا شركائي بزعمكم. [(٥)]

---

(١)السابق (٢٨٩/٤).

(٢) مراصد المطالع (٥٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١٤١/٥).

(٤) ينظر: سورة البقرة آية ٥.

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٤٨٠).

سُورَةُ مَرْيَمَ

أولا: مناسبة بداية سورة مريم لخاتمة سورة الكهف:

١) ختم سورة الكهف بتأكيد بشرية محمد ﷺ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ... ﴾ ١١٠، وجاءت سورة مريم مؤكدة بشرية عيسى ﷺ: ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾ ٣٠، وبشرية زكريا ﷺ: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾ ٢.[1]

٢) ختمت سورة الكهف بما أعد الله للمؤمنين، وكذلك ختمت سورة مريم به.[2]

٣) بدأت سورة الكهف تبيِّن مقاصد الكتاب: ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ... ﴾ ٢، وختمت به سورة مريم: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ ٩٧.[3]

٤) وذكر في سورة الكهف قصص عجيبة: كقصة أصحاب الكهف وقصة الخضر، وذكر في سورة مريم قصتان عجيبتان: ولادة عيسى وولادة يحي عليهما الصلاة والسلام.[4]

(١) التفسير الموضوعي (٤/٤٠٩).

(٢) السابق (٤/٤١٠).

(٣) السابق (٤/٤٠٩).

(٤) أسرار ترتيب سور القرآن (٦٤).

ثانيًا: مناسبة بداية سورة مريم لخاتمتها:

بدأت بالحديث عن القرآن، وختمت به؛ فسورة مريم بدأت بالأحرف المقطعة وفيه إشارة إلى القرآن عربي في حروفه وبيانه، وفي الختام ذكر الحكمة من نزوله: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴾٩٧.[1]

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾ مريم:٥٩.

اعلم أنه تعالى لما وصف هؤلاء الأنبياء بصفات المدح؛ ترغيبًا لنا في التأسي بطريقتهم، ذكر بعدهم من هو بالضد منهم فقال: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾.[2]

٢- ﴿قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ﴾مريم:٧٥.

لما ذكر دليلهم الباطل الدالّ على شدّة عنادهم وقوة ضلالهم، أخبر هنا أن من كان في الضلالة (بأن رضيها لنفسه، وسعى فيها)؛ فإن الله يمدّه منها ويزيده فيها حبًا عقوبة له على اختيارها على الهدى.[3]

٣- ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ﴾ مريم:٧٦.

---

(١) التفسير الموضوعي (٤٠٨/٤)، مراصد المطالع (٥٤).

(٢) التفسير الكبير (٥٥١/٢١).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٤٩٩).

١) لما ذكر أن الظالمين جعلوا أحوال الدنيا من المال والولد وحسن المقام ونحو ذلك علامة لحسن حال صاحبها، أخبر هنا أن الأمر ليس كما زعموا، بل العمل الذي هو عنوان السعادة ومنشور الفلاح، هو العمل بما يحب الله ويرضاه، ومنه: التسبيح والتهليل.[١]

٢) لما ذكر تعالى إمداد من هو فِي الضلالة وزيادته على ما هو فيه، أَخبر في المقابل بزيادة المهتدين هدى.[٢]

* * * * * * *

---

(١) السابق (٤٩٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥/٢٢٩).

سُورَةُ طه

أولاً: مناسبة بداية سورة طه لخاتمة سورة مريم:

١) ختمت سورة مريم ببيان حال الرسول ﷺ مع القرآن بقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ ٩٧، وبدأت سورة طه بذلك بقوله تعالى: ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾٢.[١]

٢) من مناسبتهم لبعض تتابعهم في النزول. [٢][٣]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة طه لخاتمتها:

بدأت بالحديث عن الكتاب، وختمت به: ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ ١٣٣. [٤]

قلت: وهذا غالبًا في القرآن، أنه إذا بدأت سورة بالحديث عن القرآن، تختم به.[٥]

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾ طه:١٢٨.

---

(١) التفسير المنير (١٦/١٧٤) (بتصرف).

(٢) التفسير المنير (١٦/١٧٤).

(٣) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن ح (١٧) .

(٤) مراصد المطالع (٥٤).

(٥) ينظر سورة الكهف.

اعلم أنه تعالى لما بيَّن لمن أعرض عن ذكره كيف يحشر يوم القيامة؛ أتبعه بما يعتبر به المكلَّف من الأحوال الواقعة في الدنيا بمن كذب الرسل.[1]

٢- ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ طه:١٣١.

اعلم أنه تعالى لما صبر رسوله على ما يقولون وأمره بأن يعدل إلى التسبيح؛ أتبع ذلك بنهيه عن مد عينيه إلى ما متع به القوم.[2]

* * * * * * *

(١) التفسير الكبير (٢٢/١١٢).

(٢) السابق (٢٢/١١٤).

سُورَةُ الأَنْبِيَاءِ

أولاً: مناسبة بداية سورة الأنبياء لخاتمة سورة طه:

ختمت سورة طه بتهديد الكافرين وتوعدهم بيوم الحساب: ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾١٣٥، وبدأ سورة الأنبياء بالحديث عن قرب الحساب. (١)

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الأنبياء لخاتمتها:

١) لما ذكر في بدايتها غفلة الناس وما قالوه عن الرسول من أنه ساحر، كاهن، شاعر، ناسب أن يختمها بهذا الدعاء: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾١١٢. (٢)

٢) وتحدث في بدايتها عن اقتراب الحساب، وختمت بقرب الوعد الحق: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ...﴾٩٧.(٣)

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ الأنبياء:١٧.

لما نفى عنه اللعب، أتبعه دليله. (٤)

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (٦٧) (بتصرف).

(٢) التفسير الموضوعي (٥/٣).

(٣) مراصد المطالع (٥٥).

(٤) نظم الدرر (١٢/٣٩٨).

٢- ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴾ الأنبياء:١٩.

عطف على جملة ﴿لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ الأنبياء:١٧، مبيّنة أن من في السموات والأرض عباد لله مخلوقون لقبول تكليفه والقيام بما خلقوا لأجله وهو التخلص إلى إبطال الشرك بالحجة الدامغة. (١)

٣- ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴾ الأنبياء:٢١.

لما بيَّن تعالى كمال اقتداره وعظمته وخضوع كل شيء له، أنكر على المشركين الذين اتخذوا من دون الله آلهة من الأرض في غاية العجز وعدم القدرة. (٢)

٤- ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴾ الأنبياء:٢٦ .

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما بيَّن بالدلائل كونه منزهًا عن الشريك والند؛ أردف ذلك ببراءته عن اتخاذ الولد. (٣)

٥- ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ الأنبياء:٣٠-٣٣ .

اعلم أنه سبحانه وتعالى شرع الآن في الدلائل الدالة على وجود الصانع. (٤)

---

(١) التحرير والتنوير (٣٥/١٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٥٢١).

(٣) التفسير الكبير (١٣٤/٢٢).

(٤) السابق (١٣٦/٢٢).

٦- ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ الأنبياء:٤١.

لما ذكر استهزاءهم برسوله بقولهم: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ الأنبياء:٣٦، سلّاه بأن هذا دأب الأمم السالفة مع رسلهم.(١)

٧- ﴿قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ﴾ الأنبياء:٤٢ .

اعلم أنه تعالى لما بيَّن أن الكفار يوم القيامة لا يكفون عن وجوههم النار؛ أتبعه بأنهم في الدنيا أيضًا، لولا أن الله تعالى يحرسهم ويحفظهم، لما بقوا في السلامة.(٢)

* * * * * * *

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥٢٣).

(٢) التفسير الكبير (١٤٦/٢٢).

سُورَةُ الحَجِّ

أولاً: مناسبة بداية سورة الحج لخاتمة سورة الأنبياء:

ختم الله سورة الأنبياء بالحديث عن الساعة: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾٩٧، وبدأ به سورة الحج. (١)

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الحج لخاتمتها:

١) بدأت بذكر الساعة، وختمت بذكر مشهد من مشاهد يوم القيامة: ﴿ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ ... ﴾٧٨.(٢)

٢) وبدأت بالساعة، وختمت أيضًا بما يستعد به لمواجهة أهوال الساعة من ركوع وسجود. (٣)

٣) بدأت بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾، وختمت به ٧٣. (٤)

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (٦٨).

(٢) مراصد المطالع (٥٥).

(٣) التفسير الموضوعي (٥/٧٧).

(٤) مراصد المطالع (٥٥).

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ الحج:١٤.

لما ذكر تعالى المجادل بالباطل وأنه على قسمين: مقلّد، وداعٍ إلى ضلال، ذكر أن المتسمي بالإيمان أيضًا على قسمين: قسم لم يدخل الإيمان قلبه كما تقدم، والقسم الثاني المؤمن حقيقة، الذي صدَّق ما معه من الإيمان بالأعمال الصالحة. (١)

٢- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ الحج:١٧.

اعلم أنه تعالى لما ختم الآية السابقة بقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ﴾ الحج:١٦؛ أتبعه في هذه الآية ببيان من يهديه ومن لا يهديه. (٢)

٣- ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ الحج:٣٩.

لما كان كأنه قد قيل: كيف تكون المدافعة وبمن؟

فقيل: بعباده المؤمنين، عبر عن ذلك بقوله: ﴿أُذِنَ﴾، وأشار بقراءة من بناه للمجهول إلى سهولة ذلك عليه سبحانه: ﴿لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾، أي: للذين فيهم قوة المدافعة، في المدافعة بالقتل بعد أن كانوا يمنعون منه بمكة ويؤمرون بالصفح؛ ثم ذكر سبب الإذن فقال: ﴿بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْ﴾. (٣)

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥٣٥).

(٢) التفسير الكبير (٢٣/٢١٢).

(٣) نظم الدرر(١٣/٥٥).

٤- ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ﴾ الحج:٤٢.

اعلم أنه تعالى لما بيَّن فيما تقدم إخراج الكفار للمؤمنين من ديارهم بغير حق وأذِن في مقاتلتهم وضمن للرسول ﷺ والمؤمنين النصرة؛ أردفه بما يجري مجرى التسلية للرسول ﷺ بالصبر على ما هم عليه من أذيته وأذية المؤمنين بالتكذيب.(١)

٥- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ الحج:٤٦.

تفريع على جملة: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ...﴾الحج:٤٥، والاستفهام تعجبي من حالهم في عدم الاعتبار بمصارع الأمم المكذبة لأنبيائهم.(٢)

٦- ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ الحج:٤٨.

عطف على جملة: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ...﴾ الحج:٤٧؛ باعتبار ما تضمنه استعجالهم للعذاب من التعريض بأنهم مستبعدين وقوعه، فذُكِّروا بأن أممًا كثيرة أُمهلت ثم حلَّ بهم العذاب. (٣)

٧- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ الحج:٦١.

(ذلك): أي ذلك النصر بسبب أنه قادر، ومن آثار قدرته أنه يولج الليل في النهار.(٤)

---

(١) التفسير الكبير (٢٣/٢٣١).

(٢) التحرير والتنوير (١٧/٢٨٧).

(٣) السابق (١٧/٢٩٢).

(٤) التفسير المنير (١٧/٢٦١)، الكشاف واللفظ له (٣/١٦٧).

٨- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ الحج:٦٢.

وردت بعد سابقتها؛ لتوضح أن ذلك الوصف بخلق الليل والنهار، والإحاطة بما يجرى فيهما، وإدراك كل قول وفعل بسبب أنه الله الحق الثابت إلهيته، وأن كل ما يدعى إلهًا دونه باطل الدعوة، وأنه لا شيء أعلى منه شأنًا وأكبر سلطانًا.[١]

٩- ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ الحج:٧٠.

اعلم أنه سبحانه لما قال سابقًا أنه يحكم بينهم يوم القيامة؛ أتبعه هنا بما يُعْلَم به أنه سبحانه عالم بما يستحقه كل واحد منهم، فيقع الحكم منه بينهم بالعدل لا بالجور.[٢]

١٠- ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ الحج:٧٥.

لما بيَّن تعالى كماله وضعف الأصنام وأنه المعبود حقًا، بيَّن حالة الرسل وتميزهم عن الخلق بما تميزوا به من الفضائل. [٣]

* * * * * * *

(١) الكشاف (٣/١٦٨).

(٢) التفسير الكبير (٢٣/٢٤٩).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٥٤٦).

سورة المؤمنون

أولا: مناسبة بداية سورة المؤمنون لخاتمة سورة الحج:

ختمت سورة الحج بالحديث عن الركوع والسجود والفلاح في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴾٧٧، وبدأت سورة المؤمنون بالحديث عن الفلاح والصلاة.[1]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة المؤمنون لخاتمتها:

بدأت بقوله تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾١، وختمت بضده: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ ١١٧.[2]

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴾ المؤمنون:١٢.

اعلم أنه سبحانه لما أمر بالعبادات في الآيات المتقدمة، والاشتغال بعبادة الله لا يصح إلا بعد معرفة الإله الخالق؛ أعقبها بذكر ما يدل على وجوده واتصافه بصفات الجلال والوحدانية، فذكر من الدلائل خلق الإنسان وتقلبه في أدوار خلقه.[3]

٢- ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ﴾ المؤمنون:١٧.

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (٦٩).

(٢) مراصد المطالع (٥٦).

(٣) التفسير الكبير (٢٣/ ٢٦٤)

لما ذكر تعالى خلق الإنسان، عطف عليه بذكر خلق السموات، وكثيرًا ما يذكر تعالى خلق السموات مع خلق الإنسان كما في سورة غافر: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾٥٧.[1]

٣- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ المؤمنون:٥٧-٦١.

١) لما نفى سبحانه وتعالى سابقًا الخيرات الحقيقة عن الكفرة المتنعمين، أتبع ذلك بذكر من هم أهل للخيرات، ووصفهم بأربع صفات. [2]

٢) لما ذكر تعالى الذين جمعوا بين الإساءة والأمن، الذين يزعمون أن عطاء الله إياهم في الدنيا دليل على خيرهم وفضلهم، ذكر هنا من هم على النقيض منهم، وهم الذين جمعوا بين الإحسان والخوف. [3]

٤- ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ المؤمنون:٦٢.

لما ذكر مسارعتهم إلى الخيرات وسبقهم إليها؛ ربما وهِمَ واهِمٌ أن المطلوب منهم ومن غيرهم أمر غير مقدرو أو متعسر، أخبر تعالى أنه لا يكلف نفسا إلا وسعها. [4]

---

(١) التفسير المنير (٢٤/١٨)، تفسير القرآن العظيم واللفظ له (٤٠٩/٥).

(٢) فتح القدير (٥٧٨/٣)، التفسير الكبير (٢٨٢/٢٣).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٥٥٤).

(٤) السابق (٥٥٤).

٥- ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ﴾ المؤمنون:٩٣-٩٥.

لما أقام تعالى على المكذبين أدلته العظيمة، فلم يلتفتوا لها ولم يذعنوا لها؛ حق عليهم العذاب ووُعِدوا بنزوله.[١]

٦- ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ...﴾ المؤمنون:٩٧.

اعلم أنه سبحانه لما أدب رسوله ﷺ بقوله: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ المؤمنون:٩٦؛ أتبعه بما يعينه على ذلك وهو الاستعاذة.[٢]

٧- ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ المؤمنون:١٠٢-١٠٣.

اعلم أنه سبحانه لما قال: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ المؤمنون:١٠٠؛ ذكر هنا أحوال ذلك اليوم.[٣]

* * * * * * *

(١) السابق (٥٥٨).

(٢) التفسير الكبير (٢٣/٢٩٢).

(٣) السابق (٢٣/٢٩٤).

سُورَةُ النُّورِ

أولاً: مناسبة بداية سورة النور لخاتمة سورة المؤمنون:

١) في خاتمة سورة المؤمنون قال: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾١١٥، وبدأ سورة النور بما يبيِّن أن الله لم يخلق الناس عبثا بل خلقهم وأنزل لهم شرائع وأحكام يعملون بها لصالح حياتهم، فقال: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾١.[1]

٢) لما قال في آخر سورة المؤمنون: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ ١١٨، جاءت سورة النور محققة لتلك الرحمة بما فيها من التشريعات الحكيمة التي تراعي مصلحة العباد.[2]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة النور لخاتمتها:

١) لما قال في بدايتها: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ١ وهو إعلان قوي عن نزولها، وفرضها للأحكام التي وردت فيها، جاء في ختامها تذكيرًا للناس بعلم الله ﷻ بأحوال العباد وأعمالهم، التي سيحاسبون عليها يوم يرجعون إليه؛ ليعدوا أنفسهم للسؤال أمام الله ﷻ فقال:

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ ٦٤. [3]

---

(١) التفسير المنير (١١٩/١٨) (بتصرف).

(٢) التفسير الموضوعي (١٧١/٥).

(٣) السابق (١٧٠/٥).

٢) ذكر في أولها حجاب النساء عامة، وفي آخرها ذكر حجاب القواعد من النساء.[(١)]

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ النور:٢٧.

بعد بيان حكم قذف المحصنات وقصة الإفك، ذكر آداب الاستئذان؛ لمنع الوقوع في التهمة أو حدوث الخلوة التي هي من دواعي الزنا.[(٢)]

٢- ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ النور:٣٠.

لما ذكر آداب الاستئذان، أمر بعدها بغض البصر عند دخول البيوت بعد الاستئذان.[(٣)]

٣- ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ............ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ النور:٣١.

لما أمر تعالى بهذه الأوامر الحسنة، ووصى بالوصايا المستحسنة، وكان لا بد من وقوع تقصير؛ لذلك أمر الله تعالى في ختامها بالتوبة.[(٤)]

---

(١) مراصد المطالع (٥٦).

(٢) التفسير الكبير (٣٥٦/٢٣)، التفسير المنير (٢٠٠/١٨) (بتصرف).

(٣) التفسير المنير (٢١٣/١٨).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٥٦٦).

٤- ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ النور:٣٢.

بعد أن نهى الله عن الزنا وعن دواعيه، وأمر بالاستئذان وغض البصر لحفظ الأعراض؛ أردف أوامر العفاف هذه بالإرشاد إلى ما يعين عليه ويعف نفوس المؤمنين والمؤمنات ويغض من أبصارهم، فأمر الأولياء بأن يزوجوا الأيامى؛ فإن ذلك أعف لهن وللرجال الذين يتزوجونهن.(١)

٥- ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۝٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ ...﴾ النور:٣٦-٣٧.

لما وصف الله في الآية السابقة نور الإيمان والقرآن، ذكر هنا أكثر مكان يتواجد فيه النور ومن هم المنتفعون بهذا النور.(٢)

٦- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ النور:٣٩.

لما ذكر سابقًا أعمال المتقين وجزائهم، عقب ذلك بضده من أعمال الكافرين.(٣)

٧- ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ النور:٥١.

---

(١) التحرير والتنوير (١٨/٢١٥)، التفسير الكبير (٢٣/٣٧)، التفسير المنير (١٨/٢٣٠)، نظم الدرر (١٣/٢٦٥) (بتصرف).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/٥٦)، التفسير المنير (١٨/٢٤٩)، تيسير الكريم الرحمن (٥٦٩).

(٣) التحرير والتنوير (١٨/٢٥٠).

اعلم أنه تعالى لما حكى قول المنافقين وما فعلوه؛ أتبعه ذكر ما يجب أن يقوله ويفعله المؤمنون.[1]

٨- ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ النور:٥٢.

لما ذكر فضل الطاعة في الحكم خصوصًا، ذكر فضلها عمومًا في جميع الأحوال.[2]

٩- ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ...﴾ النور:٥٥.

اعلم أن تقدير النظم: بلغ أيها الرسول وأطيعوه أيها المؤمنون؛ فقد وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات.[3]

١٠- ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ النور:٥٦.

لما قال سابقًا (أطيعوا) أكد هنا الأمر بالطاعة، وجاز أن يكون لما قال في الآية السابقة (يعبدونني)، بيَّن هنا أفعال العبادة: وهي الصلاة والزكاة.[4]

١١- ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ النور:٥٧.

استئناف ابتدائي لتحقيق ما اقتضاه قوله: ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ ...﴾ النور:٥٥؛ فقد كان المشركون يومئذ لم يزالوا في قوة وكثرة، وكان المسلمون لم يزالوا يخافون بأسهم، فربما كان الوعد بالأمن متلقى بالتعجب والاستبطاء.[5]

* * * * * * *

---

(١) التفسير الكبير (٤١١/٢٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٥٧٢).

(٣) التفسير الكبير (٤١٢/٢٤).

(٤) روح المعاني (٢٩٧/٩).

(٥) نظم الدرر (٣٠٨/١٣)، التحرير والتنوير واللفظ له (٢٨٩/١٨).

سُورَةُ الفُرْقَانِ

أولاً: مناسبة بداية سورة الفرقان لخاتمة سورة النور:

١) ختمت سورة النور بذكر بعض صفات الله ﷻ : ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ... ﴾ ٦٤، وبُدئت به سورة الفرقان: ﴿ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ... ﴾ ٢. [(١)]

٢) ختمت سورة النور بأمرين فيهم توقير للرسول ﷺ وهما: عدم الانصراف من المجلس إلا بإذن الرسول ﷺ ، وعدم مناداته باسمه المجرد، وجاء في افتتاح سورة الفرقان أيضًا توقير الرسول ﷺ بوصفه بالعبودية وأنه مبعوث للعالمين جميعًا. [(٢)]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الفرقان لخاتمتها:

١) بدأت بقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ ... ﴾ ١، وختمت بمثله: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ﴾٦١. [(٣)]

٢) بدأت بقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ ... ﴾ ٣، وختمت بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ... ﴾٦٨. [(٤)]

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (٧١).

(٢) التفسير الموضوعي (٥/٢٦٤).

(٣) مراصد المطالع (٥٧).

(٤) التفسير الموضوعي (٥/٢٦٧).

٣) بدأت بالحديث عن اليوم الآخر في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ ٣، وختمت به: ﴿ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾٦٩.[١]

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾ الفرقان:٧.

انتقال من حكاية مطاعنهم في القرآن وبيان إبطالها إلى حكاية مطاعنهم في الرسول ﷺ.[٢]

٢- ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴾ الفرقان:١٥.

لما بيَّن جزاء الظالمين، ناسب أن يذكر بعده جزاء المتقين. [٣]

٣- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ الفرقان:٣١.

هذه تسلية للنبي ﷺ بأن ما لقيه من بعض قومه هو سنة من سنن الأمم مع أنبيائهم. [٤]

٤- ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾ الفرقان:٥٥.

الواو للحال، وهذا مستعمل في التعجيب من استمرارهم في الشرك أعقب ذكر ما نفع الله به الناس من إلطافه بهم في تصاريف الكائنات. [٥]

* * * * * * *

---

(١) السابق (٥/٢٦٧).

(٢) التحرير والتنوير (١٨/٣٢٦).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٥٧٩).

(٤) التحرير والتنوير (١٩/٩).

(٥) السابق (١٩/٥٦).

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

أولاً: مناسبة بداية سورة الشعراء لخاتمة سورة الفرقان:

ختمت سورة الفرقان بالوعيد للمكذبين: ﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ ٧٧، وبدأت سورة الشعراء وختمت بالوعيد لهم: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴾ ٤ و: ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾٢٢٧.[١]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الشعراء لخاتمتها:

١) بدأت بالحديث عن الكتاب، وختمت به: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾١٩٢. [٢]

٢) بدأت بقوله تعالى تسلية للنبي لما يلاقيه من الكفار: ﴿ لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ٣، وختمت بالوعيد للظالمين: ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ ٢٢٧.[٣]

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ الشعراء:٥.

عطف على جملة: ﴿ لَعَلكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ الشعراء:٣، أي: هذه عادتهم، فلا تأسف لعدم إيمانهم بآيات الكتاب المبين، وما يجيئهم منها من بعدُ فسيعرضون عنه؛ لأنهم عُرِفوا بالإعراض. [٤]

٢- ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ الشعراء:٢١٤.

---

(١) التفسير المنير (١٩/١١٨) (بتصرف) .

(٢) مراصد المطالع (٥٧).

(٣) السابق (٥٧).

(٤) التحرير والتنوير (١٩/٩٧).

لما أمر الله ﷻ رسوله ﷺ بما فيه كمال نفسه سابقًا، أمره هنا بتكميل غيره، كقوله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴾ العلق: ١١-١٢، أي: إن كان على هدى في نفسه، وآمرًا لغيره بالتقوى. [١]

* * * * * * *

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥٩٨).

سورة النمل

أولاً: مناسبة بداية سورة النمل لخاتمة سورة الشعراء:

١) ختمت سورة الشعراء بالحديث عن القرآن، وبدأت به سورة النمل. (١)

٢) من مناسبتهما لبعض أنهما من سور الطواسيم، وأنهما نزلتا بهذا الترتيب من السماء. (٢) (٣)

ثانيًا: مناسبة بداية سورة النمل لخاتمتها:

بدأت بالحديث عن القرآن وهدايته، وختمت به: ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ...﴾. (٤)

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ النمل:٦٢.

ارتقى الاستدلال من التذكير بالتصرف الرباني في ذوات المخلوقات، إلى التذكير بتصرفه في أحوال الناس وذلك: حال الاضطرار، وحال التصرف في الأرض ومنافعها.(٥)

٢- ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ النمل:٦٣.

---

(١) التفسير الموضوعي (٤١٩/٥).

(٢) أخرج الحديث في ترتيب نزولهما ابن الضريس في فضائل القرآن ح (١٧).

(٣) السابق (٤١٧/٥).

(٤) مراصد المطالع (٥٨).

(٥) التحرير والتنوير (١٤/٢٠).

انتقال من دلائل التصرف في أحوال عامة الناس، إلى دلائل التصرف في أحوال المسافرين منهم في البر والبحر.[1]

٣- ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ النمل:٦٥.

اعلم أنه تعالى لما بيَّن أنه المختص بالقدرة، فكذلك بيَّن أنه هو المختص بعلم الغيب؛ وإذا ثبت ذلك، ثبت أنه هو الإله المعبود.[2]

٤- ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾النمل٨٩.

اعلم أنه تعالى لما تكلم في علامات القيامة؛ شرح بعد ذلك أحوال المكلفين بعد قيام القيامة، والمكلف إما أن يكون مطيعًا أو عاصيًا، أما المطيع فهو الذي جاء بالحسنة، وأما العاصي فهو من جاء بالسيئة.[3]

* * * * * * *

(١) التحرير والتنوير (١٦/٢٠).

(٢) التفسير الكبير (٥٦٧/٢٤).

(٣) السابق (٥٧٤/٢٤).

سُورَةُ القَصَصِ

أولا: مناسبة بداية سورة القصص لخاتمة سورة النمل:

١) ختمت سورة النمل بقوله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَ ... ﴾٩٢، وبدأت سورة القصص بـ: ﴿ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾٣. [١]

٢) ومن تناسبهم أنهما من سور الطواسيم، وقيل أنهما مرتبتان في المصحف على وفق ترتيب نزولهم من السماء.[٢]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة القصص لخاتمتها:

١) قال في أولها: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ...﴾ ٤، وختمها: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ... ﴾٨٣. [٣]

٢) ذكر في بدايتها هجرة موسى عليه السلام من مصر والعودة إليها، وذكر في آخرها وعد الله للنبي ﷺ بعد هجرته من مكة بأنه سيعيده إليها: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ... ﴾٨٥. [٤]

٣) ذكر في بدايتها قوله تعالى: ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ ١٧، وختمها: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾٨٦. [٥]

---

(١) التفسير الموضوعي (٥/٥١٠).

(٢) أسرار ترتيب سور القرآن (٧٤).

(٣) التفسير الموضوعي (٥/٥٠٩).

(٤) مراصد المطالع (٥٨).

(٥) السابق (٥٨).

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾القصص:٥٨.

عطف على جملة: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا .. ﴾ القصص:٥٧، باعتبار ما تضمنته من الإنكار والتوبيخ؛ فإن ذلك يقتضي التعرض للانتقام شأن الأمم التي كفرت بنعم الله؛ فهو تخويف لقريش من سوء عاقبة أقوام كانوا في مثل حالهم من الأمن والرزق، فجحدوا النعمة وقابلوها بالبطر. [١]

٢- ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ القصص:٥٩.

أعقب الاعتبار بالقرى المهلكة ببيان أشراط هلاكها وسببه؛ استقصاء للإعذار لمشركي العرب. [٢]

٣- ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ القصص:٦١.

هذه الآية تقرير وإيضاح للتي قبلها: ذكر في الآية التي قبلها متاع الحياة الدنيا وما عند الله وتفاوتهما، ثم عقبه بهذه الآية على معنى: أبعد هذا التفاوت الظاهر يسوّى بين أبناء الآخرة، وأبناء الدنيا؟. [٣]

---

(١) التحرير والتنوير (١٥٠/٢٠).

(٢) السابق (١٥٣/٢٠).

(٣) الكشاف (٤٢٥/٣).

٤- ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾ القصص:٦٧.

١) لما ذكر تعالى سؤال الخلق عن معبودهم وعن رسلهم، ذكر الطريق الذي ينجو به العبد من عقاب الله تعالى، وأنه لا نجاة إلا لمن اتصف بالتوبة من الشرك والمعاصي وآمن بالله وعمل صالحا.(١)

٢) اعلم أنه تعالى لما بيّن حال المعذبين من الكفار وما يجري عليهم من التوبيخ؛ أتبعه بذكر من يتوب منهم في الدنيا؛ ترغيبًا في التوبة، وزجرًا عن الثبات في الكفر. (٢)

٥- ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ القصص:٦٨.

معطوف على ما قبله ومعناه: التفويض إلى حكمة الله تعالى في خلق قلوب منفتحة للاهتداء والتوبة، وقلوب غير منفتحة له.(٣)

٦- ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ القصص:٧١.

١) اعلم أنه تعالى لما بيّن في الآية السابقة استحقاقه للحمد على وجه الإجمال؛ فصل بعد ذلك ببعض ما يجب أن يحمد عليه، مما لا يقدر عليه سواه.(٤)

٢) انتقال من الاستدلال على إفراده تعالى بالإلوهية بصفات ذاته، إلى الاستدلال على ذلك ببديع مصنوعاته. (٥)

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٦٢٢).

(٢) التفسير الكبير (٥٦٩/٢٤).

(٣) التحرير والتنوير (١٦٤/٢٠).

(٤) التفسير الكبير (١٢/٢٥).

(٥) التحرير والتنوير (١٦٨/٢٠).

سُورَةُ العَنكَبوت

أولاً: مناسبة بداية سورة العنكبوت لخاتمة سورة القصص:

١) لما تضمنت سورة القصص عدة ابتلاءات منها :ابتلاء أم موسى عليه الصلاة والسلام بإلقاء ابنها في اليم وفراقه، وابتلاء موسى بخروجه من بلده، وكذلك ابتلاء الرسولﷺ بهجرته من مكة، بدأت سورة العنكبوت ببيان أن الابتلاء سنة الله ﷻ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ ٢.[1]

٢) لما أخبر الله ﷻ في أول سورة القصص: ﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ ...﴾ ٤، افتتح هذه السورة بذكر المؤمنين الذين فتنهم الكفار وعذبوهم بعذاب دون ما عذب به فرعون بني إسرائيل؛ تسلية لهم بما وقع لمن قبلهم.[2]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة العنكبوت لخاتمتها:

بدأها بقوله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴾٢، وختمها بالمجاهدة التي تعين الناس على هذه البلاءات، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ ٦٩.[3]

---

(١) البرهان في تناسب سور القرآن (٢٧١).

(٢) مراصد المطالع (٥٨).

(٣) السابق (٥٨).

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ العنكبوت:١٠.

لما ذكر تعالى أنه لابد أن يمتحن من ادّعى الإيمان؛ ليظهر الصادق من الكاذب، بيَّن تعالى أن من الناس فريقًا لا صبر لهم على المحن، ولا ثبات لهم على بعض الزلازل.[١]

٢- ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ العنكبوت:١٣.

لما كان قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ العنكبوت:١٢، قد يُتوهّم منه أيضًا أن الكفار الداعين إلى كفرهم - ونحوهم ممن دعا إلى باطله - ليس عليهم إلا ذنبهم الذي ارتكبوه دون الذنب الذي فعله غيرهم، ولو كانوا متسببين فيه، نفى الله ﷻ هنا هذا التوهم.[٢]

٣- ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ العنكبوت:٢٠.

اعتراض انتقالي من الإنكار عليهم ترك الاستدلال بما هو بمرأى منهم، إلى إرشادهم إلى الاستدلال بما هو بعيد عنهم من أحوال إيجاد المخلوقات وتعاقب الأمم.[٣]

٤- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ العنكبوت:٥٧.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٦٢٧).

(٢) السابق (٦٢٧).

(٣) التحرير والتنوير (٢٠/٢٣٠).

لما حث على الهجرة سابقًا، ذكرهم هنا بالموت وأن الدنيا ليست دار بقاء؛ فلا يدفعهم خوفهم من التعرض للموت في طريق الهجرة بالتخلف عن الهجرة في سبيل الله.[1]

٥- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ العنكبوت:٥٨.

لما وعد الله ﷻ سابقًا المهاجرين في سبيله بالسعة في الدنيا، انتقل هنا إلى وصف بعض ما أعد لهم من نعيم الجنة.[2]

٦- ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ العنكبوت:٦٠.

عطف على جملة: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ العنكبوت:٥٧، فإن الله لما هون بها أمر الموت في مرضاة الله، وكانوا قد يقولون إنا لا نخاف الموت ولكنا نخاف الفقر والضيعة؛ ذكرهم الله هنا أن الرزق بيده ﷻ.[3]

٧- ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ العنكبوت:٦٢.

لما ذكر الخلق سابقًا ذكر هنا الرزق؛ لأن كمال الخلق ببقائه، وبقاء الإنسان بالرزق.[4]

٨- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ العنكبوت:٦٧.

لما ذكر الله ﷻ حال الإنسان في البحر على أخوف ما يكون، ذكره هنا بنعمة الأمن في الحرم وفي مساكنهم.[5]

---

(١) موضوعات سور القرآن (٤٩/٢٩)، روح المعاني (١١/١١) (بتصرف).

(٢) موضوعات سور القرآن (٥٠/٢٩) (بتصرف).

(٣) التحرير والتنوير (٢٤/٢١).

(٤) التفسير الكبير (٧٤/٢٥).

(٥) السابق (٧٦/٢٥) (بتصرف).

سُورَةُ الرُّومِ

أولاً: مناسبة بداية سورة الروم لخاتمة سورة العنكبوت:

١) ختمت سورة العنكبوت بالجهاد، وافتتحت هذه بوعد من غلب من أهل الكتاب بالغلبة والنصر، وفرح المؤمنين بذلك، وأن الدولة لأهل الجهاد فيه، ولا يضرهم ما وقع لهم قبل ذلك من هزيمة[١].

٢) كل منهما افتتح بـ {الم} غير معقب بذكر القرآن، وهو خلاف القاعدة الخاصة في المفتتح بالحروف المقطعة؛ فإنها كلها عقبت بذكر الكتاب أو وصفه، إلا هاتين السورتين وسورة القلم[٢].

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الروم لخاتمتها:

١) بدأت بقوله تعالى: ﴿ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾٦، وختمت بـ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾٦٠[٣].

٢) بدأت: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ ١٢، وختمت به: ٥٥ [٤].

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (٧٧).

(٢) السابق (٧٧).

(٣) مراصد المطالع (٥٩).

(٤) السابق (٥٩).

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ الروم:٨.

لما ذكر الله في الآية السابقة غفلة الناس عن الآخرة، دعاهم هنا وفي الآية التي تليها إلى ما يزيل غفلتهم، وهو التفكر في أنفسهم بالسير في الأرض؛ ليروا أحوال الأمم السابقة. (١)

٢- ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ الروم:١٧-١٨.

لما ذكر الوعد والوعيد، أتبعه ذكر ما يوصل إلى الوعد، وينجي من الوعيد وهو: التسبيح وذكر الله تعالى وقيل: الصلاة.(٢)

٣- ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الروم:٣٠.

لما بيَّنت الآية السابقة بطلان عقائد الشرك بضرب المثل السابق، توجه الخطاب هنا إلى النبي ﷺ يأمره بالتمسك بالحق والثبات عليه.(٣)

٤- ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الروم:٣١.

لما أمر الله بإقامة الوجه للدين، بيَّن هنا أنها تكون بالإنابة لله. (٤)

---

(١) موضوعات سور القرآن (١٢/٣٠) (بتصرف).

(٢) الكشاف (٤٧١/٣).

(٣) موضوعات سور القرآن (٢٩/٣٠).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٦٤٠/٣١) (بتصرف).

٥- ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ الروم:٣٣.

لما أمر الله تعالى بالإنابة الاختيارية، ذكر هنا الإنابة الاضطرارية التي لا تكون إلا عند نزول البلاء والكرب.(١)

٦- ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ الروم:٣٨.

لما ذكر الله ﷻ سابقًا أن بسط الرزق وقبضه بيده، أرشد هنا عباده لما يجب عليهم في حال السعة. (٢)

٧- ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ الروم:٣٩.

لما ذكر العمل الذي يقصد به وجه الله تعالى من النفقات، ذكر هنا العمل الذي يقصد به مقصد دنيوي. (٣)

٨- ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ الروم:٤١.

وجه تعلق الآية بما قبلها هو: أن الشرك سبب الفساد. (٤)

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٦٤١) (بتصرف).

(٢) موضوعات سور القرآن (٣٥/٣٠) (بتصرف).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٦٤٢).

(٤) التفسير الكبير (١٠٤/٢٥).

٩- ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ﴾ الروم:٤٢.

لما بيَّن حالهم بظهور الفساد، بيَّن لهم هنا هلاك أمثالهم الذين كانت أفعالهم كأفعالهم.[١]

١٠- ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ الروم:٤٦.

لما ذكر أن ظهور الفساد بسبب الشرك، ذكر ظهور الصلاح ولم يذكر أنه بسبب العمل الصالح؛ لأن الكريم لا يذكر لإحسانه عوضًا، ويذكر لابتلائه سببًا لئلا يتوهم به الظلم.[٢]

١١- ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ الروم:٦٠.

أمر للنبي ﷺ بالصبر بعدما ما قال: ﴿وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ﴾ الروم:٥٨؛ لتضمنها تأييسه من إيمانهم.[٣]

* * * * * * *

(١) التحرير والتنوير(٢١/١١٤)، التفسير الكبير واللفظ له (٢٥/١٠٥).

(٢) التفسير الكبير (٢٥/١٠٧).

(٣) التحرير والتنوير (٢١/١٣٥).

سُورَةُ لُقْمَانَ

أولاً: مناسبة بداية سورة لقمان لخاتمة سورة الروم:

ختمت سورة الروم بالحديث عن المكذبين، وبدأت سورة لقمان بالحديث عن المؤمنين؛ ليكتمل الكلام عن الفريقين.[1]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة لقمان لخاتمتها:

١) ذكر في أولها الحديث عن علاقة الآباء بالأبناء في الدنيا: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ ١٤، وذكر في آخرها علاقتهم في الآخرة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ ٣٣.[2]

٢) ذكر في صدرها إنزال المطر: ﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾١٠، وذكر في آخرها: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ ...﴾٣٤.[3]

٣) افتتح سورة لقمان وختمها بالتذكير بالنعم، وتأكيد التحذير من الاغترار بلهو الحياة وزخرفها.[4]

---

(١) التفسير الموضوعي (٢٦/٦).

(٢) روح المعاني (١٠٥/١١)

(٣) مراصد المطالع (٥٩).

(٤) التفسير الموضوعي (٢٦/٦).

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ لقمان:٦.

لما قال الله ﷻ في الآية السابقة: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ لقمان:٥، وهم السعداء الذين ينتفعون بكتاب الله، ثنّى بذكر حال الأشقياء الذين لم ينتفعوا بسماع كلام الله، وأقبلوا على المزامير والغناء بالألحان وآلات الطرب، كما قال ابن مسعود ؓ: ﴿ لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ "هو والله الغناء". [(١)(٢)]

٢- ﴿يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ لقمان:١٧.

لأن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا بد أن يناله من الناس أذى؛ لذلك أمره بالصبر بعده. [(٣)]

٣- ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ لقمان:٢٠.

لما أمر الله ﷻ في الآيات السابقة بشكره بقوله: أن اشكر لي، بيَّن هنا مقدار نعمه على عباده وأننا مهما شكرنا عليها فلن نستطيع ذلك.

---

(١) البيهقي في السنن الكبرى (٢١٠٠٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٦٤٦)، التحرير والتنوير (١٤١/٢١)، تفسير القرآن العظيم واللفظ له (٢٩٥/٦).

(٣) موضوعات سور القرآن (٢٤/٣١) (بتصرف).

٤- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ لقمان:٢١.

لما قال سابقًا أن الله سخر لكم ما في السموات وأنعم عليكم نعمًا عديدة، والحال أن بعضكم يجادل في وحدانية الله ويتعامى عن دلائل وحدانيته.[١]

٥- ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾لقمان:٢٢.

لما ذكر الله سبحانه في الآية السابقة حال الإنسان الذي يجادل في توحيد الله بغير علم، ذكر هنا حال من أذعن واستسلم لله ﷻ.[٢]

٦- ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾لقمان:٢٣.

قد عودنا الله ﷻ في كتابه أنه كلما بيّن عناد وجحود الكافرين؛ التفت إلى النبي ﷺ مواسيًا ومثبتًا. [٣]

٧- ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾لقمان:٢٧.

لما ذكر سبحانه أن له ما في السموات والأرض، أتبعه بما يدل على أن له ما وراء ذلك، فلا يحيط بعلمه عدد ولا حصر. [٤]

---

(١) التحرير والتنوير (١٧٣/٢١).

(٢) السابق (١٧٦/٢١).

(٣) موضوعات سور القرآن (٣٠/٣١).

(٤) فتح القدير (٢٧٩/٤).

٨- ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ لقمان:٢٨.

لما قال سابقًا: ﴿ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ لقمان:٢٣، وكان الغالب على المشركين إنكار البعث، ذكر هنا ما يدل على أن خلق جميع الناس أول مرة كخلق نفس واحدة؛ للدلالة على تمام قدرة الله ﷻ.[1]

٩- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾لقمان:٢٩.

استدلال على ما تضمنته الآية قبلها، من كون الخلق الثاني وهو البعث في متناول قدرة الله تعالى؛ استدل هنا بأنه قادر على تغيير أحوال ما هو أعظم حالا من الإنسان، وذلك بتغيير أحوال الأرض وليلها ونهارها.[2]

* * * * * * *

(١) التحرير والتنوير (٢١/١٨٣) (بتصرف).

(٢) السابق (٢١/١٨٤).

سُورَةُ السَّجْدَة

أولا: مناسبة بداية سورة السجدة لخاتمة سورة لقمان:

١) لما قال في سورة لقمان: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ... ﴾٣٤، شرح ذلك هنا بقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴾٧.[١]

٢) ولما قال في سورة لقمان: ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ...﴾ ٣٤، شرح ذلك هنا بقوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ...﴾ ٥، وقوله:﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ...﴾ ١٣.[٢]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة السجدة لخاتمتها:

١) ذكر في بدايتها أمر النبي ﷺ بإنذار الكافرين في قوله تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ ٣، وختمها: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾٣٠؛ فكأنه قال إن لم يستفيدوا بالإنذار، أعرض عنهم.[٣]

٢) قرر في أولها شأن البعث وأنه حق وواقع، وقرر ذلك في خاتمة السورة من خلال المثال في إحياء الأرض بعد موتها.[٤]

---

(١) مراصد المطالع (٥٩).

(٢) السابق (٥٩).

(٣) السابق (٥٩).

(٤) التفسير الموضوعي (٦/٥٠).

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩﴾السجدة:١٥.

لما ذكَّر الكافرين بآياته وما أعدَّ لهم من العذاب، ذكَّر المؤمنين بها وما أعدَّ لهم من الثواب. [١]

٢- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ السجدة:٢٣.

١) لما ذكر تعالى القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ ، ذكر أنه ليس ببدع من الكتب، ولا من جاء به بغريب من الرسل. [٢]

٢) لما جرى ذكر إعراض المشركين عن آيات الله وهي آيات القرآن في الآية السابقة، انتقل إلى تسلية النبي ﷺ بأن ما لقي من قومه هو نظير ما لقيه موسى عليه السلام من قوم فرعون.[٣]

* * * * * * *

(١) تيسير الكريم الرحمن (٦٥٥).

(٢) السابق (٦٥٦).

(٣) التحرير والتنوير (٢١/٢٤٣).

سورة الأحزاب

أولا: مناسبة بداية سورة الأحزاب لخاتمة سورة السجدة:

ختمت سورة السجدة بأمر للرسول ﷺ: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾٣٠، وبدأت سورة الأحزاب كذلك بأوامر للرسول ﷺ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ... ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ... ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ .. ﴾١-٣. [(١)]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الأحزاب لخاتمتها:

بدأت بأمر النبي ﷺ بالتقوى، وختمت بنفس الأمر لزوجاته وللمؤمنين: ﴿ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ... ﴾ ٥٥، و ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ...﴾ ٧٠. [(٢)]

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾ الأحزاب:٧.

لما ذكرت الآيات السابقة مكانة النبي ﷺ عند المؤمنين، ذكرت هنا مكانته بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. [(٣)]

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (٨٠).

(٢) مراصد المطالع (٦٠).

(٣) موضوعات سور القرآن (٣٣/٥٣) (بتصرف).

٢- ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾الأحزاب:٢٢.

لما ذكر حالة المنافقين عند الخوف، ذكر هنا حال المؤمنين عند الخوف أيضًا؛ لتحصل العبرة بالفرق بين الحالين. (١)

٣- ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾ الأحزاب:٢٣.

لما ذكر أن المنافقين عاهدوا الله لا يولون الأدبار: ﴿ وَلَقَدْ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴾ الأحزاب:١٥، ونقضوا ذلك العهد، ذكر هنا وفاء المؤمنين به.(٢)

٤- ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾الأحزاب:٢٤.

بيَّن الله ﷻ أنه قدر ما قدر من قتال وجهاد؛ ليجزي الصادقين بما صدر عنهم من صدق وتضحية.(٣)

٥- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾الأحزاب:٢٨.

١) انتقلت الآيات من بيان حال الرسول ﷺ في الجهاد، إلى بيان حاله مع أسرته. (٤)

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٦٦٠) (بتصرف).

(٢) السابق (٦٦٠).

(٣) موضوعات سور القرآن (٣١٤/٢١).

(٤) السابق (٨١/٣٣).

٢) لما نصر الله نبيه على الأحزاب وفتح عليه بعدها بكنوز اليهود، طالبنه زوجاته بزيادة النفقة، فأمره الله ﷻ أن يخيرهن بين البقاء معه على شظف العيش أو مفارقته.[(١)][(٢)]

٦- ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ الأحزاب:٣٢.

لما نهى الله ﷻ نساء النبي ﷺ عن الخضوع في القول، ربّما تُوُهِّم أنهن مأمورات بإغلاظ القول؛ لذلك قال: ﴿وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾.[(٣)]

٧- ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ الأحزاب:٣٤.

لما أمر الله ﷻ نساء النبي ﷺ بالعمل الذي هو فعل وترك، أمرهنَّ بالعلم الذي يدلهم على هذه الأعمال، وبيَّن لهنَّ طريقه.[(٤)]

٨- ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ ...﴾ الأحزاب:٣٥.

بعد أن أنزل الله آيات في أمهات المؤمنين؛ جعل ذلك نساء المؤمنين يتشوفن إلى أن ينزل الله تعالى فيهن أيضًا قرآنا يتلى، ذكر ذلك الطبري في تفسيره.[(٥)] [(٦)]

---

(١) التحرير والتنوير(٣١٤/٢١)، التفسير المنير واللفظ له (٢٨٩/٢١).

(٢) روى سبب النزول مسلم ح (١٤٧٨)، أحمد ح(١٤٥١٥) .

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٦٦٣).

(٤) السابق (٦٦٣) (بتصرف).

(٥) تخريج أثر الطبري (١٠٩/١٩)

(٦) موضوعات سور القرآن (١١١/٣٣).

٩- ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾الأحزاب:٤٠.

لما قال الناس تزوج محمد امرأة ابنه، رد الله عليهم بذلك. (١)

١٠- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾الأحزاب:٤١.

١) لما ذكر الله ﷻ في الآية السابقة أن محمدا ﷺ هو خاتم الأنبياء، ألقى هذا الأمر مسؤولية كبيرة على المسلمين بأن يقوموا بتبليغ هذه الرسالة والمحافظة عليها؛ فكان خير معين لهم على هذه المسؤولية هو الإكثار من ذكر الله ﷻ. (٢)

٢) من مناسبتها لما قبلها أنها جاءت بعد الحديث عن قصة زينب رضي الله عنها، فخاطب الله المؤمنين بأن يشغلوا ألسنتهم بذكر الله وتسبيحه، ولا يكونوا كالمنافقين الذين يُرجفون في قضية زواج الرسول ﷺ بزينب رضي الله عنها.(٣)

١١- ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾الأحزاب:٤٣.

تعليلا للأمر بذكر الله ﷻ وتسبيحه؛ بأن ذلك مجلبة لانتفاع المؤمنين بجزاء الله ﷻ على ذلك بأفضل منه، وهو صلاته وصلاة ملائكته، والمعنى: أنه يصلي عليكم وملائكته إذا ذكرتموه ذكرًا كثيرًا. (٤)

---

(١) موضوعات سور القرآن (١١٧/٣٣).

(٢) السابق (١٢٠/٣٣) (بتصرف).

(٣) التحرير والتنوير (٤٧/٢٢) (بتصرف).

(٤) موضوعات سور القرآن (١٢١/٣٣)، التحرير والتنوير واللفظ له (٤٩/٢٢).

١٢- ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ الأحزاب:٥٢.

لما أمر الله رسوله ﷺ أن يخير نسائه بين البقاء معه أو تسريحهن في الآيات السابقة، واخترن البقاء معه؛ كرمهن الله لذلك بمنع النبي ﷺ من الزواج من غيرهن.(١)

١٣- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ...﴾الأحزاب:٥٣.

لما بيّن الله في الآيات السابقة آداب النبي ﷺ مع أزواجه، قفاه في هذه الآية بآداب الأمة معهن، وصدر بالإشارة إلى قصة هي سبب نزول هذه الآية.(٢)

١٤- ﴿إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ الأحزاب:٥٤.

كلام جامع تحريضًا وتحذيرًا ومنبئ عن وعد ووعيد، فإن ما قبله قد حوى أمرًا ونهيًا، وإذا كان الامتثال متفاوتًا في الظاهر والباطن وبخاصة في النوايا؛ كان المقام مناسبًا لتنبيههم وتذكيرهم بأن الله مطلع على كل حال من أحوالهم. (٣)

١٥- ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾ الأحزاب:٥٥.

---

(١) موضوعات سور القرآن (١٢٩/٣٣).

(٢) التحرير والتنوير (٨١/٢٢).

(٣) السابق (٩٥/٢٢).

لما ذكر الله ﷻ عن نساء النبي ﷺ أنهن لا يُسألن متاعًا إلا من وراء حجاب، وكان اللفظ عامًا لكل أحد؛ احتيج أن يستثنى منه هؤلاء المذكورون من المحارم.[1]

١٦- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾الأحزاب:٥٦.

١) بعد أن بيَّنت الآيات السابقة حرمة أمهات المؤمنين، وحرمة بيوت النبي ﷺ، أكدت ذلك ببيان مكانته ﷺ.[2]

٢) أعقبت آيات أحكام معاملة أزواج النبي ﷺ بالثناء عليه وتشريف مقامه؛ إيماءً بأن تلك الأحكام جارية على مناسبة عظمة مقام النبي ﷺ عند الله تعالى، وإلى أن لأزواجه من ذلك التشريف حظًا عظيمًا.[3]

١٧- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ الأحزاب:٥٧.

لما أمر تعالى بتعظيم رسوله ﷺ ، نهى عن أذيته وتوعد عليها.[4]

١٨- ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنًا وَإِثۡمًا مُّبِينًا ﴾الأحزاب:٥٨.

لما فرغ من الذم لمن آذى الله ورسوله، ذكر هنا الذم لمن آذى سائر المؤمنين.[5]

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/٤٠٤)، تيسير الكريم الرحمن واللفظ له (٦٦٣).

(٢) موضوعات سور القرآن (٣٣/١٣٣).

(٣) التحرير والتنوير (٢٢/٩٧).

(٤) فتح القدير(٤/٣٤٧)، تيسير الكريم الرحمن واللفظ له (٦٧١).

(٥) فتح القدير (٤/٣٤٧).

١٩- ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ الأحزاب:٥٩.

بعد بيان أن من يؤذي مؤمنًا فقد احتمل بهتانًا وإثمًا مبينًا؛ أمر الله تعالى المؤمنات باجتناب المواضع التي فيها التهم التي قد تؤدي إلى الإيذاء، وذلك بالتستر وإرخاء الجلباب.(١)

٢٠- ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الأحزاب:٦٠.

لما نهى سابقًا عن أذية المؤمنات، انتقل هنا إلى زجر قوم عرفوا بأذية الرسول ﷺ وأذية المؤمنين والمؤمنات. (٢)

٢١- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾الأحزاب:٦٩.

لما ذكر سابقًا وعيد الذين يؤذون الرسول ﷺ وأزواجه، حذر هنا المؤمنين عن أن يكونوا مثل قوم نسبوا إلى رسولهم ما هو أذى له. (٣)

٢٢- ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾الأحزاب:٧٠.

لما ذكر سابقًا قول من آذوا موسى، أرشدهم إلى ما ينبغي أن يصدر منهم من الأقوال؛ حتى لا يكونوا كمن سبقهم. (٤)

---

(١) التفسير الكبير (١٨٣/٢٥)، فتح القدير (٣٤٩/٤)، التحرير والتنوير (١٠٦/٢٢)، التفسير المنير واللفظ له (١٠٧/٢٢).

(٢) التحرير والتنوير (١٠٧/٢٢) (بتصرف).

(٣) السابق (١١٩/٢٢) (بتصرف).

(٤) التحرير والتنوير (١٢١/٢٢)، التفسير الكبير واللفظ له (١٨٦/٢٥).

٢٣- ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ الأحزاب:٧٣.

متعلق بقوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الأحزاب:٧٢؛ لأن المنافقين والمشركين والمؤمنين من أصناف الإنسان وهذه اللام للتعليل؛ فالمعنى يعذب الله المنافقين والمشركين على عدم الأمانة التي حملوها في أصل الفطرة.[١]

* * * * * * *

---

(١) التحرير والتنوير (١٣١/٢٢).

سُورَةُ سَبَإٍ

أولاً: مناسبة بداية سورة سبأ لخاتمة الأحزاب:

١) مناسبة خاتمة سورة الأحزاب لسورة سبأ كمناسبة ختام سورة المائدة ببداية سورة الأنعام؛ فتعذيب العصاة وإثابة الطائعين نعمة عظيمة تستوجب الحمد.(١)

٢) ذكر في السورتين بيان لمهمة الرسول ﷺ العظيمة ودعوته العامة، فقال في سورة الأحزاب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ ٤٥، وقال في سورة سبأ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ... ﴾ ٢٨.(٢)

٣) وختم سورة الأحزاب بعذاب المنافقين والمشركين، وبدأ سورة سبأ بأن له مافي السموات والأرض، وهذ الوصف لائق بذلك الحكم.(٣)

ثانيًا: مناسبة بدايتها للخاتمة:

١) بدأت بالحديث عن علم الله ﷻ بقوله تعالى: ﴿ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ ... ﴾ ٣، وختمت به: ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾٤٨.(٤)

٢) بدأت ببيان إنكار المشركين للبعث، وختمت ببيان إقرارهم به ولكن بعد فوات الأوان: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ ٥٢. (٥)

---

(١) التفسير الموضوعي (٦/١٧١).

(٢) السابق (٦/١٧٠).

(٣) أسرار ترتيب سور القرآن (٨١).

(٤) مراصد المطالع (٦٠).

(٥) التفسير الموضوعي (٦/١٦٩).

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ سبأ:٣.

لما بيَّن الله ﷻ في الآيتين السابقتين عظمته بما وصف به نفسه؛ وكان هذا موجبًا لتعظيمه والإيمان به وبما أخبر عنه، ذكر في هذه الآية أن من أصناف الناس طائفة لم تقدر ربها حق قدره، ولم تعظمه حق تعظيمه، بل كفروا به وأنكروا قدرته على إعادة الأموات وقيام الساعة.[1]

٢- ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ سبأ:٤.

لما ذكر في الآية السابقة قيام الساعة والبعث، ذكر هنا المقصود منها وهو الجزاء.[2]

٣- ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ سبأ:٦.

لما قال تعالى عن الكافرين: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ سبأ:٥، ذكر هنا حال أهل العلم، وأنهم على النقيض من الكافرين، آمنوا بما أُنزل من الآيات وأنها حق يهدي إلى الطريق المستقيم، وهذه منقبة لأهل العلم وفضيلة لهم، وأنه كلما كان العبد أكثر علمًا بما جاء به الرسول ﷺ، كان أكثر هداية للحق.[3]

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٦٧٤).

(٢) السابق (٦٧٤).

(٣) السابق (٦٧٥).

٤- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ سبأ:٧.

انتقال إلى قولة أخرى من الأقوال الشنيعة لأهل الشرك معطوفة على قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ سبأ:٣.[١]

٥- ﴿أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾ سبأ:٩.

لمّا استبعد الكفار البعث ولم يصدقوا به، نبههم هنا أن ينظروا إلى مفعولات الله ومخلوقاته في السماء والأرض، وأنهم لو فعلوا، لرأوا ما يبيِّن لهم قدرته ﷻ على ما أنكروا من البعث.[٢]

٦- ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ﴾ سبأ:١٥.

لما بيَّن الله ﷻ حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام، بيَّن حال الكافرين بنعمه بذكر حال أهل سبأ[٣]، ولما ذكر قصة سليمان أتبعها بذكر قصة سبأ؛ لما بين ملك سليمان ومملكة سبأ من الاتصال بسبب قصة بلقيس.[٤]

---

(١) التحرير والتنوير (١٤٧/٢٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٦٧٥).

(٣) فتح القدير (٣٦٦/٤)، التفسير المنير (١٦٣/٢٢)، التحرير والتنوير (١٦٥/٢٢)، التفسير الكبير واللفظ له (٢٠٠/٢٥).

(٤) التحرير والتنوير (١٦٥/٢٢)

٧- ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ سبأ:٢٨.

انتقال من إبطال ضلال المشركين في أمر الربوبية، إلى إبطال ضلالهم في شأن صدق الرسول ﷺ.[1]

٨- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ سبأ:٢٩.

كان من أعظم ما أنكره الكفار القيامة والبعث؛ لذلك عقب إبطال قولهم في إنكار الرسالة بإبطال قولهم في إنكار البعث.[2]

* * * * * * *

---

(١) السابق (٢٢/١٩٧).

(٢) السابق (٢٢/١٩٩).

سورة فاطر

أولاً: مناسبة بداية سورة فاطر لخاتمة سورة سبأ:

١) كمناسبة سورة المائدة لسورة الأنعام، ومناسبة سورة الأحزاب لسورة سبأ، قال تعالى في سورة سبأ: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾ ٥٤، وبدأ سورة فاطر بالحمد. [١]

٢) قال في سورة سبأ: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ ... ﴾ ٢٢، وقال في سورة فاطر: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾٤٠.[٢]

٣) وفي السورتين حديث عن خطورة المكر وعاقبته، قال تعالى في سورة سبأ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ... ﴾٣٣، وقال في سورة فاطر: ﴿ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ ... ﴾٤٣.[٣]

٤) بالإضافة لتآخيهما في البداية بالحمد. [٤]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة فاطر لخاتمتها:

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (٨٢).

(٢) التفسير الموضوعي (٦/٢٣٩).

(٣) السابق (٦/٢٣٩).

(٤) أسرار ترتيب سور القرآن (٨٢).

١) بدأت ببيان حال أهل المكر وعاقبة أمرهم وعقابهم بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ ١٠، وختمت به: ﴿ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ... ﴾ ٤٣. [1]

٢) بدأت بنعمة الخلق، وختمت بنعمة الحفظ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ ٤١.[2]

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾ فاطر:٨.

لما ذكر الفريقين الذين كفروا والذين آمنوا، ناسب أن يقول لنبيه: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗا ﴾، يعني: أفمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين، كمن لم يزين له.[3]

٢- ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ فاطر:١٢.

---

(١) مراصد المطالع (٦٠).

(٢) التفسير الموضوعي (٦/٢٣٦).

(٣) الكشاف (٣/٥٩٩).

انتقال من الاستدلال بالأحوال في الأجواء بين السماء والأرض على تفرد الله تعالى بالإلهية، إلى الاستدلال بما على الأرض من بحار وأنهار، وما في صفاتها من أدلة على ألوهية الله. (١)

٣- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ فاطر:١٥.

لما وصف الله آلهة الكفار أنهم فقراء لا يملكون حتى القطمير، ذكر هنا أن الناس أيضًا فقراء إلى ربهم في كل أمورهم.

٤- ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ فاطر:١٦.

لما ختم الآية السابقة بقوله: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ فاطر:١٥، ذكر هنا ما يؤكد كمال غناه بأنه لو شاء لذهب بكم أيها الناس، وأتى بخلق آخرين أطوع منكم. (٢)

٥- ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ ...﴾ فاطر:١٨.

لما ذكر الله ﷻ في الآيات السابقة ضعف الناس في الدنيا، وقدرة الله ﷻ على ذهابه بهم، ذكر هنا ضعفهم يوم القيامة، وأنه لو أتت أي نفس مثقلة بالذنوب، وطلبت من غيرها أن يحمل عنها؛ فلن يستجيب لدعوتها أحد حتى لو كان المدعو أقرب الناس.

٦- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ فاطر:٢٧.

(١) التحرير والتنوير (٢٧٩/٢٢).

(٢) موضوعات سور القرآن (٢٠٤/٣٥) (بتصرف).

استئناف فيه إيضاح ما سبقه من اختلاف أحوال الناس في قبول الهدى ورفضه بسبب ما تهيأت خلقة النفوس إليه؛ ليظهر به أن الاختلاف بين أفراد الأصناف والأنواع ناموس فطر الله عليه مخلوقات هذا العالم الأرضي.[1]

٧- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ فاطر:٢٨.

بعدما ذكر الله تعالى في الآية السابقة وفي هذه الآية مظاهر قدرته بأنه يخلق من الشيء الواحد أشياء مختلفة؛ بيَّن هنا أن العلم بأسرار الكون وبقدرة الله وعظمته تؤدي إلى الخشية منه ﷻ.[2]

٨- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ فاطر:٣٨.

لما ذكر جزاء أهل الدارين وأعمال الفريقين، أخبر تعالى عن سعة علمه واطلاعه على غيب السموات والأرض؛ فيعطي كلًا ما يستحقه، وينزل كل أحد منزلته.[3]

٩- ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا﴾ فاطر:٤٢.

لما بيَّن إنكارهم للتوحيد، ذكر بعدها تكذيبهم للرسول.[4]

* * * * * * *

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠٠/٢٢).

(٢) موضوعات سور القرآن (٢١٢/٣٥) (بتصرف).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٦٩٠).

(٤) التفسير الكبير (٢٤٦/٢٦).

سُورَةُ يسٓ

أولاً: مناسبة بداية سورة يس لخاتمة سورة فاطر:

١) ختم الله سورة فاطر بالحديث عن قدرة الله المطلقة: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴾ ٤٤، وبيَّن في بداية سورة يس شيء من قدرته وهو إحياء الموتى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ ... ﴾١٢.[1]

٢) لما ختمت سورة فاطر: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ.. .﴾ ٤٢، بدأت سورة يس بالقسم على صحة رسالته.[2]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة يس لخاتمتها:

١) بدأت بوصف القرآن، وختمت بقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾ ٦٩. [3]

٢) بدأت بـ: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ ...﴾ ١٢، وختمت بضرب مثل للكافر الذي ينكر إحياء الله للموتى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾ ٧٨.[4]

---

(١) التفسير الموضوعي (٦/٢٩٥).

(٢) أسرار ترتيب سور القرآن (٨٣).

(٣) مراصد المطالع (٦١).

(٤) السابق (٦١).

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ يس:٤١.

لما ذكر ﷻ سابقًا جريان النجوم في السماء بقدرته، ذكر هنا جريان الفلك في الماء.[١]

٢- ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴾ يس:٤٢.

لما تحدث الله تعالى في الآية السابقة بما امتن على الناس من حملهم في السفن، ذكر هنا أنه خلق لهم في البر ما يركبونه وهي الإبل، وقد قرن الله بين السفن والإبل في عدة مواضع:

كسورة المؤمنون: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾٢١-٢٢ ، وفي سورة الزخرف: ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾١٢.[٢]

٣- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ يس:٤٥.

تخلص الكلام من عدم انتفاعهم بالآيات الدالة على وحدانية الله، إلى عدم انتفاعهم بالأقوال المبلغة إليهم في القرآن. [٣]

(١) موضوعات سور القرآن (٢٩/٣٦)، التفسير الكبير (٢٨٢/٢٦).

(٢) التحرير والتنوير(٣٨/٢٣)، موضوعات سور القرآن واللفظ له (٣٠/٣٦).

(٣) روح المعاني (٢٨/١٢)، التحرير والتنوير واللفظ له (٣٠/٢٣).

٤- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ يس:٤٨.

ذكر عقب استهزاء الكافرين بالمؤمنين لما منعوهم الإنفاق بحجة أن الله لو شاء لأطعمهم، استهزاء آخر بالمؤمنين في تهديدهم المشركين بعذاب يحل بهم، فكانوا يسألونهم متى هذا الوعد استهزاءً بهم. [(١)]

٥- ﴿فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ يس:٧٦.

لما قال سابقًا: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ﴾ يس:٧٤، خاطب هنا الرسول ﷺ أن لا يحزن لأقوالهم فيه؛ فإنهم قالوا في شأن الله ما هو أشنع. [(٢)]

* * * * * * *

---

(١) التحرير والتنوير (٢٣/٣٣).

(٢) روح المعاني (١٢/٥١)، التحرير والتنوير (٢٣/٧٢) (بتصرف).

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

أولًا: مناسبة بداية سورة الصافات لخاتمة سورة يس:

بيَّن في آخر سورة يس قدرة الله على إحياء الموتى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ٨١، وبيَّن ذلك أيضًا في أول سورة الصافات: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ ١٦-١٨.[١]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الصافات لخاتمتها:

١) بدأت بقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا ﴾١، وختمت بـ: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴾ ١٦٥.[٢]

٢) ذكر في بدايتها جدال الكافرين للرسول ﷺ: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾١٦، وختمت بتوجيه النبي بالإعراض عنهم وانتظار ماسيحل بهم: ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ ١٧٨-١٧٩.

٣) بدأت بما قاله المشركون عن الله ﷻ وما نسبوه إليه وهو منزه عنه، وختمها بتنزيه ذاته عن ذلك مع وصف نفسه بصفات الكمال.[٣]

---

(١) التفسير الموضوعي (٦/٣٤٢).

(٢) مراصد المطالع (٦١).

(٣) التفسير الموضوعي (٦/٣٤٢).

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾ الصافات: ٦٩-٧٠.

لما ذكر سابقًا عذاب الكافرين، بيَّن هنا سبب استحقاقهم لهذا العذاب.[١]

* * * * * * *

سُورَةُ صٓ

أولاً: مناسبة بداية سورة ص لخاتمة سورة الصافات:

قال في آخر سورة الصافات: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ١٧٦، وبيَّن في أول سورة ص هلاك بعض الأمم بالعذاب الذي استعجلوه. [٢]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة ص لخاتمتها:

بدأت بقوله تعالى: ﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ ١، وختمت به: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ ٨٧.[٣]

وقد ذكرت سابقًا: أن غالب سور القرآن إذا بدأت بالحديث عن الكتاب، ختمت به.[٤]

* * * * * * *

(١) موضوعات سور القرآن (٧١/٣٧).

(٢) التفسير الموضوعي (٤٣٨/٦).

(٣) مراصد المطالع (٦٢).

(٤) ينظر: سورة الكهف.

سُورَةُ الزُّمَرِ

أولاً: مناسبة بداية سورة الزمر لخاتمة سورة ص:

ختمت سورة ص بقوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ٨٧، وبدأت سورة الزمر بقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾١؛ فكأنه قيل هذا الذكر تنزيل. (١)

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الزمر لخاتمتها:

١) بدأها بإنزال الكتاب بالحق، وختمها بأن فصل القضاء بين الناس أيضًا بالحق. (٢)

٢) في أولها: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾١١، وفي آخرها: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ ٦٦.(٣)

٣) في فاتحتها بدء الخلق، وفي خاتمتها المعاد والبعث. (٤)

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾الزمر:٧.

١) أتبع إنكار انصرافهم عن توحيد الله بعدما ظهر من ثبوته، بأن أُعلموا أن كفرهم لا يضر الله شيئا إنما يضر أنفسهم. (٥)

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (٨٦).

(٢) التفسير الموضوعي (٦/٤٧٤).

(٣) مراصد المطالع (٦٢).

(٤) السابق (٦٢).

(٥) التحرير والتنوير (٢٣/٣١١).

٢) بعد أن ذكر الله موجبات الإيمان والشكر بأنه خلق الإنسان وأنعم عليه، عقب هنا ببيان شناعة الكفر ومنزلة الشكر.[١]

٢- ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ الزمر:٩.

لما ذكر الله في الآيات السابقة حال الكافر حين نزول النعمة أو المصيبة به، ذكر هنا حال المؤمن العابد لله وأنهما لا يستويان، فإذا كان العاصي الغافل لا يثبت وقت النعم؛ فإن العبادات سبب لتثبيت صاحبها سواء في الرخاء أو الشدة.[٢]

٣- ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الزمر:١٠.

لما أمر الله تعالى بالتقوى وحث على الإحسان، بيَّن هنا أن أرضه واسعة، فمن لم يستطع في الأرض الذي هو بها القيام بحق الله؛ فعليه أن يهاجر لبلاد يتمكن فيها من آداء دين الله كما يحب الله ﷻ، وهذا الأمر – ترك العبد لبلاده والهجرة لبلد آخر - يحتاج لصبر؛ لذلك قال بعده: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.[٣]

٤- ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ الزمر:١٧.

لما ذكر تعالى حال المجرمين بقوله: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ ...﴾الزمر:١٦، ذكر حال المنيبين وثوابهم.[٤]

---

(١) روح المعاني (٢٣٣/١٢) (بتصرف).

(٢) موضوعات سور القرآن (١٦٦/٣٨) (بتصرف).

(٣) السابق (١٦٩/٣٩).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٧٢١).

٥- ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ الزمر:٣٠.

لما ظلَّ المشركون مصرُّون على ضلالهم ولم ينتفعوا بضرب الأمثلة والحجج، سلكت الآيات أسلوبًا جديدًا تتوعّدهم فيه بالموت وما سيلقون بعده من حساب.(١)

٦- ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الزمر:٣٣.

لما ذكر الكاذب المكذب وجنايته وعقوبته، ذكر الصادق المصدق وثوابه. (٢)

٧- ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ الزمر:٤٦.

لما ذكر الله حال الكافرين وعنادهم وإصرارهم على الكفر، بيَّن هنا أنه على الرسول والمؤمنين في مواجهة مثل هذه المواقف والعناد من الكافرين التوجه إلى الله بضراعة وخشوع ودعاءه بمثل هذا الدعاء. (٣)

٨- ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ الزمر:٤٧.

لما ذكر تعالى في الآيتين السابقة أنه الحاكم بين عباده، وذكر مقالة المشركين وشناعتها؛ كأن النفوس تشوقت إلى ما يفعل الله بهم يوم القيامة، فأخبر هنا بعذابهم.(٤)

٩- ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الزمر:٤٩.

---

(١) موضوعات سور القرآن (١٨١/٣٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٧٢٤).

(٣) روح المعاني (٢٦٧/١٢)، التحرير والتنوير (٣٠/٢٤) (بتصرف).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٧٢٦).

١) بعد أن حكى الله تعالى بعض قبائح المشركين: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ الزمر:٤٥، أتبعه بحكاية نوع آخر من القبائح: وهو أنهم عند وقوع الضر يفزعون إلى الله، وعند النعمة يعرضون.[١]

٢) فإذا مس أحدهم ضر، دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره. [٢]

١٠- ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ الزمر:٥٢.

لما ذكر أنهم اغتروا بالمال، وزعموا بجهلهم أنه يدل على حسن حال صاحبه، أخبرهم تعالى أن رزقه لا يدل على ذلك. [٣]

١١- ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الزمر:٥٣.

اعلم أنه تعالى لما أطنب في الوعيد؛ أردفه بشرح كمال رحمته وفضله في حق العبيد. [٤]

١٢- ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴾ الزمر:٦٨.

لما خوفهم تعالى من عظمته في الآية السابقة، خوفهم هنا بأحوال يوم القيامة ورغبهم ورهبهم.[٥]

* * * * * *

---

(١) التفسير المنير (٣٠/٢٤).

(٢) الكشاف (١٣٣/٤).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٧٢٧).

(٤) التفسير الكبير (٤٦٣/٢٧).

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٧٢٩).

سُورَةُ غَافِر

أولاً: مناسبة بداية سورة غافر لخاتمة سورة الزمر:

١) آخر سورة الزمر تكلم عن أهل الجنة، وفي أول سورة غافر ذكر توبة الله ومغفرته لهم. (١)

٢) ومن تناسبهما لبعض أنهما من سور الحواميم الذي ورد في الحديث أنهم نزلوا جملة واحدة.(٢)

ثانيًا: مناسبة بداية سورة غافر لخاتمتها:

١) بدأت بالحديث عن الكتاب، وختمت به: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ...﴾ ٨٣ .

٢) بدأت بقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ ...﴾ ٢١، وختمت بمثله: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ ...﴾ ٨٢.(٣)

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴾ غافر:١٠.

لما ذكرت الآيات السابقة المكانة العالية للمؤمنين، عقَّبت هنا ببيان المكانة القبيحة للكافرين.(٤)

٢- ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ غافر:٥١.

١) اعلم أنه تعالى لما ذكر حمايته لموسى ومؤمن آل فرعون من مكر فرعون؛ بيَّن هنا أنه ينصر رسله والذين آمنوا.(٥)

---

(١) التفسير الموضوعي (٥٢٩/٦).

(٢) أسرار ترتيب سور القرآن (٨٦).

(٣) مراصد المطالع (٦٢).

(٤) موضوعات سور القرآن (٢٤٤/٣٩).

(٥) التفسير الكبير (٥٢٣/٢٧).

٢) لما بيَّن تخاصم أهل النار، وقول الملائكة لهم: ﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ... ﴾ غافر:٥٠، أتبع ذلك بذكر نصره لهؤلاء الرسل. [١]

٣- ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ غافر:٥٣.

لما ذكر الله ﷻ سابقًا نصره لرسله، ذكر هنا أوضح مثل لنصر الله لرسله: وهو نصر موسى عليه السلام على قوم فرعون.[٢]

٤- ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ غافر:٦٠.

اعلم أنه تعالى لما بيَّن أن الساعة آتية لا ريب والإنسان لا ينتفع وقتها إلا بعبادته؛ أمرهم هنا بأشرف عبادة وهي الدعاء. [٣]

٥- ﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ غافر:٦٦.

لما ذكر في الآية السابقة الأمر بالإخلاص لله، صرح هنا بالنهي عن عبادة من سواه.[٤]

٦- ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ غافر:٦٨.

اعلم أنه تعالى لما ذكر انتقال الإنسان من كونه ترابًا إلى نطفة؛ استدل بهذه التغيرات على وجود الإله المحيي المميت. [٥]

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٧٣٩)، التفسير الكبير واللفظ له (٥٢٣/٢٧).

(٢) التحرير والتنوير (١٦٩/٢٤).

(٣) التفسير الكبير (٥٢٧/٢٧).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٧٤٢).

(٥) التفسير الكبير (٥٣١/٢٧).

سورة فصلت

أولاً: مناسبة بداية سورة فصلت لخاتمة سورة غافر:

ختمت سورة غافر بالحديث عن الكتاب، وبدأت به سورة فصلت. [١]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة فصلت لخاتمتها:

١) بدأت بالحديث عن الكتاب، وختمت به. [٢]

٢) بدأت بذكر إعراض الكافرين عن الحق: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ ٤، وختمت بذكر إعراض الإنسان حال النعمة: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾٥١. [٣]

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ فصلت:١٩.

لما فرغ من موعظة المشركين بحال الأمم المكذبة من قبلهم وإنذارهم بعذاب يحل بهم في الدنيا، انتقل إلى إنذارهم بما سيحل بهم في الآخرة. [٤]

٢- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ فصلت:٢٦.

لما ذكر الله ﷻ في الآية السابقة قرناء السوء، ذكر هنا بعض ما يأمر به قرناء السوء هؤلاء، وهذا يدل على أن كفار قريش يشعرون في قرارة نفوسهم ما للقرآن من تأثير

---

(١) التفسير المنير (١٧٩/٢٤).

(٢) مراصد المطالع (٦٣).

(٣) السابق (٦٣).

(٤) التحرير والتنوير (٢٦٤/٢٤).

وسلطان على القلوب؛ لهذا تواصوا بأن يشوشوا بالتصفيق والتصفير عند قراءته حتى لا يسمعه من حضره.[١]

٣- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾فصلت:٣٠.

١) بعدما ختمت الآيات السابقة بالوعيد الشديد للكفار، ذكرت هنا البشائر لأولياء الله.[٢]

٢) لما ذكر الله ﷻ أنه قيّض قرناء السوء للكفار، جعل في المقابل الملائكة تدنو من أوليائه تثبتهم في الأوقات الحرجة.[٣]

٤- ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ فصلت:٣٣.

بعد أن بيَّن الله ما يفعله قرناء السوء من الدعوة إلى المعاصي في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ فصلت:٢٦، ذكر هنا حال الذين يدعون إلى توحيد ربهم وطاعته. [٤]

٥- ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ فصلت:٣٦.

١) لما ذكر تعالى ما يقابل العدو به من الإنس وهو مقابلة إساءته بالإحسان، ذكر ما يقابل به العدو من الجن وهو الاستعاذة بالله منه. [٥]

---

(١) موضوعات سور القرآن (٢٧٥/٤٠) (بتصرف).

(٢) السابق (٢٧٨/٤٠).

(٣) السابق (٢٧٩/٤٠).

(٤) التفسير المنير (٢٢٨/٢٤).

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٧٥٠).

٢) لما أمر سابقًا بدفع السيئة بالتي هي أحسن، ذكر هنا ما قد يكون سببا يمنع الإنسان من ذلك وهو نزغ الشيطان.(١)

٦- ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ فصلت:٤٤.

لما ذكر الله القرآن وبيَّن فصاحته وبلاغته، ومع هذا لم يؤمن به المشركين، نبه هنا على أن كفرهم به كفر عناد وتعنت.(٢)

٧- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ فصلت:٤٥.

اعتراض لتسلية النبي ﷺ على تكذيب المشركين له وكفرهم بالقرآن بأنه ليس بأوحد في ذلك؛ فقد أوتي موسى عليه السلام التوراة فاختلف الذين دعاهم فيها.(٣)

* * * * * * *

(١) التحرير والتنوير (٢٩٦/٢٤) (بتصرف).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١٦٨/٧).

(٣) التحرير والتنوير (٣١٧/٢٤).

سُورَةُ الشُّورَىٰ

أولاً: مناسبة بداية سورة الشورى لخاتمة سورة فصلت:

ختمت سورة فصلت بالكلام عن الوحي بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ... ﴾ ٥٢، وبدأت به سورة الشورى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ٣. [(١)]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الشورى لخاتمتها:

بدأت بالحديث عن الكتاب والوحي، وختمت به.[(٢)]

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ الشورى:١٠.

لما قال الله ﷻ سابقًا أنه هو الولي المحي المميت ومن بيده ذلك يستوجب أن يكون الحكم له، ذكر هنا الانقياد لحكمه.[(٣)]

٢- ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ الشورى:١٤.

---

(١) التفسير الموضوعي (٧/٦٢).

(٢) مراصد المطالع (٦٣).

(٣) موضوعات سور القرآن (٤١/٣٠٢).

لما أمر تعالى باجتماع المسلمين على دينهم ونهاهم عن التفرق، أخبرهم هنا ألا يغتروا بما أنزل الله عليهم من الكتاب؛ فإن أهل الكتاب لم يتفرقوا إلا بعد إنزال الكتاب عليهم.[1]

٣- ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ ...﴾ الشورى:١٥.

الفاء للتفريع على قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ...﴾ الشورى:١٣، أي: ادعُ إلى جميع ما تقدم من الأمر بإقامة الدين والنهي عن التفرق.[2]

٤- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ﴾ الشورى:١٧.

لما ذكر تعالى أن حُججه واضحة بيّنة، ذكر أصلها وقاعدتها وهو القرآن العظيم الذي نزل بالحق.[3]

٥- ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الشورى:١٩.

لما ذكر في الآيات السابقة يوم القيامة، ذكر أنه لطيف بعباده؛ فتقرير الساعة وما فيها من مسؤولية وجزاء مظهر من مظاهر لطفه سبحانه وتعالى، أليس في الحساب تخفيف من لوعة المظلوم والمكسور والمهموم؟[4]

---

(١) التحرير والتنوير(٥٦/٢٥)، تيسير الكريم الرحمن واللفظ له (٧٥٥).

(٢) التحرير والتنوير (٦٠/٢٥) (بتصرف).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٧٥٦).

(٤) موضوعات سور القرآن (٣١٠/٤١) (بتصرف).

٦- ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ الشورى:٢٠.

اعلم أنه تعالى لما بيَّن كونه لطيفًا بعباده؛ بيَّن هنا أنه لا بد لهم أن يسعوا في مقابل لطفه بطلب الحسنات. [١]

٧- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ الشورى:٢٨.

عطف على جملة: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ...﴾ الشورى:٢٧؛ فإن الغيث سبب رزق عظيم. [٢]

٨- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ الشورى:٢٩.

لما كان إنزال الغيث آية من آيات الله، انتقل من ذكره إلى ذكر آيات أخرى دالة على انفراد الله تعالى بالإلهية. [٣]

٩- ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ الشورى:٣١.

عطف على جملة: ﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ الشورى:٣٠ وهو احتراز أي: يعفو عن قدرة فإنكم لا تعجزونه ولا تغلبونه، ولكن يعفو تفضلا. [٤]

---

(١) التفسير الكبير (٥٩٠/٢٧).

(٢) التحرير والتنوير (٩٥/٢٥).

(٣) السابق (٩٧/٢٥).

(٤) السابق (١٠٣/٢٥).

١٠- ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ الشورى:٤٣.

لما ذمَّ الله ﷻ الظلم وأهله، وَشَرَّعَ القصاص، ندب هنا إلى العفو والصفح.[١]

١١- ﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ الشورى:٤٩.

لما ذكر إذاقة الإنسان الرحمة وإصابته بضدّها، أتبع ذلك أن له الملك؛ فيقسم النعمة والبلاء كيفما أراد.[٢]

* * * * * * *

(١) تفسير القرآن العظيم (١٩٥/٧).

(٢) الكشاف (٢٣٢/٤).

سُورَةُ الزُّخْرُف

أولاً: مناسبة بداية سورة الزخرف لخاتمة سورة الشورى:

خُتمت سورة الشورى بالحديث عن الكتاب والوحي، وبدأت بهما سورة الزخرف.[1]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الزخرف لخاتمتها:

١) بدأت بقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ٩، وختمت بآية شبيهة بها: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ ٨٧.[2]

٢) بدأت بقوله تعالى: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا...﴾ ٥، وختمت بـ: ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ ٨٩.[3]

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ الزخرف:٥.

بعد أن بيَّنت الآيات السابقة علو شأن القرآن العظيم وأنه علي حكيم أي: ذو حكمة، بيَّنت هنا أن الحكمة تقتضي استمرار إنزال القرآن على الكافرين، ومتابعة تذكيرهم به؛ حتى لو كانوا معرضين عنه، ولو كانوا مسرفين في المعاصي، فلن يصرف الله تعالى إنزال القرآن عليهم بسبب ذلك.[4]

---

(١) مراصد المطالع (٦٤).

(٢) السابق (٦٤).

(٣) السابق (٦٤).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٧٦٢).

٢- ﴿وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ٦ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٧ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ الزخرف:٦-٨.

لما ذكر إسرافهم في الإعراض عن الإصغاء لدعوة القرآن، أعقبه بكلام موجه إلى الرسول ﷺ؛ تسلية له عما يلاقيه منهم.[1]

٣- ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ الزخرف:٤٦.

لما قال تعالى سابقًا: ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ ...﴾ الزخرف:٤٥، بيَّن هنا حال موسى عليه السلام ودعوته التي هي أشهر ما يكون من دعوات الرسل.[2]

٤- ﴿ لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ الزخرف:٧٨.

لما ذكر الله ﷻ سابقًا مكوث الكافرين في النار، ذكر هنا السبب في ذلك وهو كرههم للحق.[3]

* * * * * * *

(١) التحرير والتنوير (٢٥/١٦٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٧٦٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٧/٢٢٠) (بتصرف).

سورة الدخان

أولاً: مناسبة بداية سورة الدخان لخاتمة سورة الزخرف:

ختمت سورة الزخرف بقوله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾ ٨٩ وهو وعيد؛ فناسب البدء في سورة الدخان: ﴿ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ ٣. [(١)]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الدخان لخاتمتها:

١) بدأت بقوله تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾ ١٠، وختمت به: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ ﴾ ٥٩.[(٢)]

٢) بدأت بذكر القرآن، وختمت به. [(٣)]

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ﴾ الدخان:١٣.

لما قال الكفار في ختام الآية السابقة: ﴿ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴾ الدخان:١٢، رد الله عليهم وهو أعلم بهم أنهم قد شاهدوا دواعي التذكر والاتعاظ عند ما جاءهم الرسول ﷺ بالآيات والبينات ولم يتذكروا ولم يتعظوا؛ فكيف سيتعظون ويتذكرون بما أصابهم الآن؟[(٤)]

---

(١) التفسير الموضوعي (١٤١/٧).

(٢) مراصد المطالع (٦٤).

(٣) السابق (٦٤).

(٤) موضوعات سور القرآن (٣٧٤/٤٣) (بتصرف).

٢- ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ الدخان:١٧.

لما ذكر تعالى تكذيب من كذب الرسول محمد ﷺ، ذكر أن لهم سلفًا من المكذبين، فذكر قصة قوم فرعون وما حلَّ بهم من العذاب؛ ليرتدع هؤلاء المكذبون عما هم عليه.[١]

* * * * * * *

(١) تيسير الكريم الرحمن (٧٧١).

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

أولاً: مناسبة بداية سورة الجاثية لخاتمة سورة الدخان:

١.بدأت سورة الجاثية بالحديث عن القرآن وختمت به سورة الدخان، والسورتان من سور الحواميم. (١)

٢.تشابه السورتين في الحديث عن خلق السموات والأرض. (٢)

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الجاثية لخاتمتها:

بدأت بالحديث عن الكتاب، وختمت به خاصة في من استهزأ به.(٣)

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ الجاثية:٧-٨.

لما ذكر سابقًا أن المؤمنين هم المنتفعين بدلالة آيات الله، انتقل هنا إلى الذين لم ينتفعوا بها. (٤)

٢- ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ الجاثية:٢٥.

---

(١) التفسير الموضوعي (١٦٠/٧).

(٢) التفسير المنير (٢٤٦/٢٥).

(٣) مراصد المطالع (٦٤).

(٤) التحرير والتنوير (٣٣١/٢٥).

لما ذكر قولهم سابقًا: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ﴾ الجاثية:٢٤، كان هذا من قولهم عجبًا، زاده عجبًا بحالهم بما يقولون عند سماعهم للآيات البينات. [١]

٣- ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الجاثية:٢٦.

رد عليهم؛ لإبطال قولهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ الجاثية:٢٤.[٢]

٤- ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ الجاثية:٢٧.

تذييل لقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ...﴾ الجاثية:٢٦، أي: لله وحده لا لغيره الملك والتصرف في أحوال ما حوته السموات والأرض من إحياء وإماتة. [٣]

* * * * * * *

---

(١) نظم الدرر (١٨/١٠٠).

(٢) التحرير والتنوير (٢٥/٣٦٥).

(٣) السابق (٢٥/٣٦٦) (بتصرف).

سُورَةُ الأَحْقَافِ

أولاً: مناسبة بداية سورة الأحقاف لخاتمة سورة الجاثية:

١) تطابق مطلع السورتين في: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾. [1]

٢) ختمت سورة الجاثية بذم أهل الشرك والوعيد لهم، وافتتحت سورة الأحقاف بمثل ذلك. [2]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الأحقاف لخاتمتها:

١) بدأت بالحديث عن خلق السموات والأرض، وختمت به.[3]

٢) بدأت بتهديد الكافرين، وعقبها مباشرة الأدلة على خلق الكون والحشر: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ ... ﴾ ٤، وختمت بتوجيه النبي بالصبر وعدم الاستعجال لهم بالعذاب، وبتأكيد قدرة الله على البعث والحشر: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ ... ﴾ ٣٥.[4]

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٌ﴾ الأحقاف:٧.

---

(١) التفسير المنير (٥/٢٦).

(٢) التفسير الموضوعي (١٧٨/٧).

(٣) مراصد المطالع (٦٥).

(٤) التفسير الموضوعي (١٧٨/٧).

لما قال سابقًا: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ...﴾ الأحقاف:٥، أخذ هنا يبين وجه آخر من وجوه ضلالهم.[1]

٢- ﴿ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾ الأحقاف: ٣٤.

لما أثبت البعث بما قام من الدلائل، ذكر هنا بعض ما يحصل في يوم البعث من الأهوال؛ تحذيرًا منه.[2]

* * * * * * *

(١) نظم الدرر (١٢٩/١٨)، التحرير والتنوير واللفظ له (١٣/٢٦).

(٢) نظم الدرر (١٨٧/١٨).

سورة محمد

أولاً: مناسبة بداية سورة محمد لخاتمة سورة الأحقاف:

ختمت سورة الأحقاف بقوله تعالى: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ ٣٥، وبدأت سورة محمد بـ: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ ١. وهذا تلاحم؛ بحيث أنه لو أسقطت البسملة بين الآيتين، لكانت كالآية المتصلة.[1]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة محمد لخاتمتها:

١) بدأت بالحديث عن الكفار والمؤمنين، وختمت بالحديث عنهم. [2]

٢) بدأت بالحديث عن الجهاد بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ...﴾ ٤، وختمت به: ﴿ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ ... ﴾ ٣٨.[3]

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ محمد: ١٢.

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (٨٩).

(٢) مراصد المطالع (٦٥).

(٣) السابق (٦٥).

لما ذكر تعالى أنه ولي المؤمنين، ذكر ما يُفعل بهم في الآخرة من دخول الجنات، ولما ذكر أن الكافرين لا مولى لهم، ذكر أنهم وُكِلوا إلى أنفسهم؛ فلم يتصفوا بصفات المروءة ولا الصفات الإنسانية. [١]

٢- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ محمد: ١٦.

اعلم أنه تعالى لما بيَّن حال الكافر؛ ذكر هنا حال المنافق. [٢]

٣- ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴾ محمد:٣٦.

تعليل لمضمون قوله: ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ ﴾ محمد:٣٥، وهذا تحذير من أن يحملهم حب لذائذ العيش على الزهادة في مقابلة العدو ومسالمته؛ فإن ذلك يغري العدو بهم. [٣]

* * * * * * *

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٧٨٦).

(٢) التفسير الكبير (٢٨/٤٩).

(٣) التحرير والتنوير (٢٦/١٣٢).

سُورَةُ الفَتْح

أولاً: مناسبة بداية سورة الفتح لخاتمة سورة محمد:

سورة محمد هي سورة القتال، وبعد القتال يأتي الفتح.[١]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الفتح لخاتمتها:

١) بدأت بالمغفرة، وختمت بها.[٢]

٢) وبدأت بالحديث عن إنزال السكينة على المؤمنين، وختمت به.[٣]

٣) بدأت بوصف النبي ﷺ والمؤمنين وما وُعِدوا به، وختمت بمثل ذلك.[٤]

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ الفتح:٤.

بعد أن أخبر الله تعالى بفضله على نبيه محمد ﷺ وبنصره إياه، ذكر هنا أفضاله على أصحاب رسوله ﷺ.[٥]

٢- ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح:١٨.

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (٩٠) (بتصرف).

(٢) مراصد المطالع (٦٦).

(٣) السابق (٦٦).

(٤) السابق (٦٦).

(٥) التفسير المنير (١٥٥/٢٦).

بعد أن بيَّن الله حال المتخلفين عن الحديبية، عاد إلى بيان حال الذين بايعوا تحت الشجرة وهم المذكورون سابقًا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ ...﴾ الفتح:١٠.[1]

٣- ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾ الفتح:٢٨.

لما كانت هذه الواقعة - عدم أداء العمرة-، مما تشوشت به قلوب بعض المؤمنين، وخفيت عليهم حكمتها؛ بيَّن هنا تعالى أن كل أحكامه الشرعية هي هدى ورحمة.[2]

* * * * * * *

(١) التفسير المنير (١٨٢/٢٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٧٩٥).

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

أولاً: مناسبة بداية سورة الحجرات لخاتمة سورة الفتح:

١) سورة الفتح تتحدث عن قتال الكفار، وسورة الحجرات تتحدث عن قتال البغاة من المؤمنين.[١]

٢) ختمت سورة الفتح بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ ٢٩، وبدأت سورة الحجرات بتوجيه النداء لهم.[٢]

٣) في السورتين تشريف للنبي ﷺ.[٣]

٤) ختمت سورة الفتح ببيان علاقة الرسول ﷺ والمؤمنين مع الكفار، وبدأت سورة الحجرات ببيان الأدب في علاقة المؤمنين بالرسول ﷺ، وفي علاقة المؤمنين بعضهم ببعض.[٤]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الحجرات لخاتمتها:

١) بدأت بوصف الله ﷻ باسمه العليم، وختمت أيضًا بعلم الله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ ١٨. [٥]

٢) بدأت بالنهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله، وختمت بالنهي عن المن على الله ورسوله.[٦]

* * * * * * *

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (٩١).

(٢) السابق (٩١) (بتصرف).

(٣) السابق (٩١).

(٤) التفسير الموضوعي (٧/٣٣٨) (بتصرف).

(٥) مراصد المطالع (٦٦).

(٦) السابق (٦٦).

سُورَةُ ق

أولاً: مناسبة بداية سورة ق لخاتمة سورة الحجرات:

لما ختم الله سورة الحجرات بـ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ... ﴾ ١٨، قال في سورة ق: ﴿ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ﴾ ٤.[1]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة ق لخاتمتها:

١) بدأت بالحديث عن القرآن: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴾ ١، وختمت به: ﴿ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾٤٥.[2]

٢) بدأت: ﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾٢، وختمت بأمر النبي ﷺ بالصبر على قولهم: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾٣٩.[3]

٣) استبعد الكفار في مطلع السورة البعث، وختمت بـ: ﴿ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ﴾ ٤٤؛ فبدأت بذكر البعث، وختمت به.[4]

ثالثًا: مناسبات الآيات:

﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴾ق:٦.

لما ذكر تعالى حال المكذبين وما ذمَّهم به، دعاهم إلى النظر في آياته؛ كي يعتبروا ويستدلوا بها على وجوده سبحانه وتعالى .[5]

---

(١) التفسير الموضوعي (٧/٣٩٤).

(٢) السابق (٧/٣٩٣).

(٣) السابق (٧/٣٩٣).

(٤) مراصد المطالع (٦٧).

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٨٠٤).

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

أولاً: مناسبة بداية سورة الذاريات لخاتمة سورة ق:

لما ختمت سورة ق بالبعث، بدأت سورة الذاريات بالقسم على وقوع البعث: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾٥.[١]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الذاريات لخاتمتها:

بدأت بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾٥، وختمت بالحديث عن هذا الوعد: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾٦٠.[٢]

ثالثًا: مناسبات الآيات:

﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ الذاريات:٥٠.

لما دعا الله ﷻ العباد إلى النظر إلى آياته الموجبة لخشيته والإنابة إليه، أمر هنا بما هو المقصود من ذلك وهو: الفرار إليه.[٣]

* * * * * * *

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (٩٢).

(٢) مراصد المطالع (٦٧).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٨١١).

سُورَةُ الطُّورِ

أولاً: مناسبة بداية سورة الطور لخاتمة سورة الذاريات:

قال في سورة الذاريات: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴾٥٩، والذنوب: هو العذاب، الذي بدأ به سورة الطور: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴾ ٧. [١]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الطور لخاتمتها:

بدأت بـ: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴾ ٧، وختمت بالتوجيه للنبي بتركهم؛ حتى يلاقوا هذا العذاب: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾٤٥، و: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ٤٧. [٢]

ثالثًا: مناسبات الآيات:

١- ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ الطور:٤٨.

لما بيَّن تعالى الحجج والبراهين على بطلان أقوال المكذبين، أمر رسوله ﷺ ألا يعبأ بهم وأن يصبر لحكم ربه. [٣]

* * * * * * *

(١) التفسير الموضوعي (٧/٤٦٦).

(٢) مراصد المطالع (٦٧).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٨١٨).

سُورَةُ النَّجْمِ

أولاً: مناسبة بداية سورة النجم لخاتمة سورة الطور:

ختمت سورة الطور بـ : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾ ٤٩، وبدأت سورة النجم بـ: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ ١.[1]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة النجم لخاتمتها:

بدأت بـ: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ ١، وختمت بـ: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴾٤٩ والشعرى نوع من النجوم.[2]

* * * * * * *

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (٩٤).

(٢) مراصد المطالع (٦٨).

سورة القمر

أولاً: مناسبة سورة القمر لسورة النجم:

١) توالى النجم والقمر وهما مشتركان في أنهما من الكواكب، كما توالى الشمس، والليل، والضحى.[١]

٢) ختمت سورة النجم بالحديث عن قرب يوم القيامة فقال: ﴿ أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ﴾ ٥٧، وبدأت به سورة القمر.[٢]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة القمر لخاتمتها:

بدأت بقوله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ ١، وختمت بـ: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ ٤٦.[٣]

* * * * * * *

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (٩٥).

(٢) التفسير المنير (٢٧/١٤٢).

(٣) مراصد المطالع (٦٨).

سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ

أولاً: مناسبة بداية سورة الرحمن لخاتمة سورة القمر:

ختمت سورة القمر بـ: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾٥٥، وكأنه قيل: المليك المقتدر هو الرحمن.(١)

ثانيا: مناسبة بداية سورة الرحمن لخاتمتها:

بدأت السورة باسم الله الرحمن، وختمت باسمه ذي الجلال والإكرام.(٢)

* * * * * * *

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

أولاً: مناسبة سورة الواقعة لسورة الرحمن:

السورتان قسمتا الناس إلى ثلاثة أصناف.(٣)

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الواقعة لخاتمتها:

بدأت بذكر أصناف الناس الثلاثة، وختمت بهم. (٤)

* * * * * * *

---

(١) التفسير الموضوعي (٧/٥٤٦).

(٢) مراصد المطالع (٦٩).

(٣) التفسير الموضوعي (٧/٥٩٤).

(٤) مراصد المطالع (٦٩).

سُورَةُ الحَدِيدِ

أولاً: مناسبة بداية سورة الحديد لخاتمة سورة الواقعة:

ختمت سورة الواقعة بالتسبيح، وبدأت سورة الحديد بالتسبيح. [1]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الحديد لخاتمتها:

١- بدأت بوصف الله ﷻ، وختمت به: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾٢٩.[2]

٢- بدأت بالدعوة للإيمان: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾٧، وختمت به: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ﴾٢٨.[3]

سُورَةُ المُجَادَلَةِ

أولاً: مناسبة سورة المجادلة لسورة الحديد:

لما ختم سورة الحديد ببيان بأن الفضل لله، ذكر في أول سورة المجادلة فضله على المجادلة خولة بنت ثعلبة في استماع الله ﷻ لها. [4]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة المجادلة لخاتمتها:

أولها فيمن استمع الله لقولها، وآخرها فيمن رضي الله عنهم.[5]

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (٩٨).

(٢) مراصد المطالع (٦٩).

(٣) السابق (٦٩).

(٤) التفسير الموضوعي (٨/ ٣٢).

(٥) مراصد المطالع (٧٠).

سُورَةُ الحَشْرِ

أولاً: مناسبة سورة الحشر لسورة المجادلة:

١) ختمت سورة المجادلة بقوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾٢١، وبدأ سورة الحشر ببيان هذه الغلبة: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ ٢. [١]

٢) في آخر سورة المجادلة ذكر من يحاد الله ورسوله، وفي سورة الحشر ذكر من يشاق الله ورسوله. [٢]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الحشر لخاتمتها:

بدأت بالتسبيح، وختمت بالتسبيح.[٣]

* * * * * * *

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (١٠٠).

(٢) السابق (١٠٠).

(٣) مراصد المطالع (٧٠).

سورة الممتحنة

أولاً: مناسبة سورة الممتحنة لسورة الحشر:

١) سورة الحشر تكلمت عن كيفية التعامل مع المعاهدين من أهل الكتاب، وسورة الممتحنة تكلمت عن التعامل مع المعاهدين من المشركين.[١]

٢) ذكر في سورة الحشر موالاة المؤمنين بعضهم لبعض وموالاة أهل الكتاب، وبدأت سورة الممتحنة بالنهي عن موالاة الكافرين.[٢]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الممتحنة لخاتمتها:

١) بدأت بنداء المؤمنين، وختمت به.[٣]

٢) بدأت بالنهي عن موالاة الكافرين، وختمت به.[٤]

ثالثًا: مناسبات الآيات:

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ الممتحنة:٨.

لما نزلت الآيات السابقة المهيجة على عداوة الكافرين، وقعت من المؤمنين كل موقع، وقاموا بها أتم القيام، وتأثموا من صلة بعض أقاربهم المشركين؛ ظنًا منهم أن ذلك داخل فيما نهى الله عنه؛ فبيَّن الله لهم هنا الصواب. [٥]

* * * * * * *

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (١٠١)، التفسير المنير (١١٥/٢٨).

(٢) أسرار ترتيب سور القرآن (١٠١)، التفسير المنير (١١٥/٢٨).

(٣) مراصد المطالع (٧٠).

(٤) السابق (٧٠) ، التفسير الموضوعي (٩٤/٨) .

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٨٥٦).

سُورَةُ الصَّفِّ

أولاً: مناسبة سورة الصف لسورة الممتحنة:

اختتمت سورة الممتحنة بالنهي عن موالاة أعداء الله، وافتتحت سورة الصف ببيان ما يقتضيه التخلي عن تلك الموالاة وهو تنزيه الله ﷻ.[1]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الصف لخاتمتها:

بدأت بالحديث عن الجهاد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ﴾ ٤، وختمت به: ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾١١.[2]

* * * * * * *

(١) التفسير الموضوعي (٨/١٢٥).

(٢) مراصد المطالع (٧١).

سُورَةُ الجُمُعَةِ

أولاً: مناسبة سورة الجمعة لسورة الصف:

١) قال في سورة الصف: ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ...﴾ ٦، وقال في سورة الجمعة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ...﴾ ٢. [١]

٢) ختم سورة الصف بالجهاد، وسماه تجارة، وختم سورة الجمعة بالصلاة، وأخبر أنها خير من التجارة. [٢]

٣) صف الصفوف يشرع في موضعين: في الصلاة، وعند بدء القتال. [٣]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الجمعة لخاتمتها:

بدأت بوصف الله ﷻ، وختمت به: ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ ١١. [٤]

* * * * * * *

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (١٠٣).

(٢) السابق (١٠٣).

(٣) السابق (١٠٣).

(٤) مراصد المطالع (٧١).

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

أولاً: مناسبة سورة المنافقون لسورة الجمعة:

ذكر في ختام سورة الجمعة حال المؤمنين مع الرسول ﷺ ، وذكر في أول سورة المنافقون حال المنافقين مع الرسول ﷺ، وقبلهم في سورة الصف تكلم عن الحواريين، وفي أول سورة الجمعة عن اليهود، وبعدهم سورة التغابن عن المشركين؛ فأصبحت هذه السور المتتابعة فيها حديث عن كل أصناف المجتمع المدني في زمن الرسول ﷺ .[1]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة المنافقون لخاتمتها:

بدأت بالحديث عن علم الله ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴾ ١، وختمت به: ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ١١.[2]

* * * * * * *

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (١٠٤).

(٢) مراصد المطالع (٧١).

سُورَةُ التَّغَابُنِ

أولاً: مناسبة سورة التغابن لسورة المنافقون:

١) السورتان تتحدثان عن الإنفاق في سبيل الله.(١)

٢) السورتان تتحدثان عن فتنة المال والولد، وجاءت آية سورة التغابن كالتعليل لآية المنافقين. (٢)

ثانيًا: مناسبة بداية سورة التغابن لخاتمتها:

١) افتتحت بتمجيد الله ﷻ وتعظيمه، وختمت بذلك: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ...﴾ ١٦. (٣)

٢) بدأت بالحديث عن علم الله ﷻ قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾٤، وختمت به: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾١٨. (٤)

* * * * * * *

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (١٠٥).

(٢) السابق (١٠٥).

(٣) التفسير الموضوعي (١٨٩/٨).

(٤) مراصد المطالع (٧٢).

سُورَةُ الطَّلَاقِ

أولاً: مناسبة سورة الطلاق لسورة التغابن:

لما ختمت سورة التغابن بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ ...﴾ ١٤، والعداوة قد تفضي إلى الطلاق وعدم الإنفاق، عقب بسورة الطلاق؛ ليبيّن الأحكام في ذلك.(١)

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الطلاق لخاتمتها:

بدأت بأوامر وأحكام لمن أراد الطلاق: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ .. ﴾ ١، وختمت بعلم الله ﷻ الذي يشمل من لم يعمل بها: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾١٢.(٢)

* * * * * * *

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (١٠٦).

(٢) مراصد المطالع (٧٢).

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

أولاً: مناسبة سورة التحريم لسورة الطلاق:

١) سورة الطلاق في خصام نساء الأمة، وسورة التحريم في خصومة نساء النبيﷺ .[١]

٢) تآخيهما في الافتتاح بخطاب النبي ﷺ.[٢]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة التحريم لخاتمتها:

بدأت بذكر زوجات الرسول ﷺ في الدنيا، وختمت بذكر زوجاته في الجنة.[٣]

* * * * * * *

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (١٠٧).

(٢) السابق (١٠٧).

(٣) مراصد المطالع (٧٢).

سورة الملك

أولاً: مناسبة سورة الملك لسورة التحريم:

لما ختم سورة التحريم بهلاك زوجتي نوح ولوط، ورفعة آسيا ومريم عليها السلام، وهذا مما لا يقدر عليه إلا من بيده الملك والقدرة؛ بدأ سورة الملك بهذا.(١)

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الملك لخاتمتها:

قال في بدايتها: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾١، وبيَّن في خاتمتها شيئا من قدرته: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾٣٠.

وختمت بمعناه وهو عجز الخلق في قوله: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾.(٢)

ثالثًا: مناسبات الآيات:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾الملك:١٢

لما ذكر حال الأشقياء الفجار، ذكر وصف الأبرار السعداء.(٣)

* * * * * * *

(١) نظم الدرر (٢٠/٢١٦) (بتصرف).

(٢) مراصد المطالع (٧٣).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٨٧٦).

سُورَةُ القَلَمِ

أولاً: مناسبة سورة القلم لسورة الملك:

ختمت سورة الملك بالوعيد للكافرين: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾٢٩، وبدأت سورة القلم أيضًا بالوعيد لهم: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾٥-٧.[1]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة القلم لخاتمتها:

بدأت بقوله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾٢، وختمت: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾٥١.[2]

* * * * * * *

(١) التفسير الموضوعي (٨/٢٩٠).

(٢) مراصد المطالع (٧٤).

سُورَةُ الحَاقَةِ

أولاً: مناسبة سورة الحاقة لسورة القلم:

١) ختمت سورة القلم بذكر قصة يونس لتسلية النبي ﷺ، وبدأت الحاقة بقصص أقوام آخرين لتكملة هذه التسلية.[1]

٢) لما وقع في سورة القلم ذكر يوم القيامة مجملا في قوله: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ القلم:٤٢، شرح ذلك في سورة الحاقة.[2]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الحاقة لخاتمتها:

بدأت ببيان أن يوم القيامة حق واقع لامحالة بقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾ ١-٢، وختمت بأن القرآن حق: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾٥١.[3]

* * * * * * *

---

(١) التفسير الموضوعي (٣١٨/٨).

(٢) أسرار ترتيب سور القرآن (١١٠).

(٣) مراصد المطالع (٧٤)

سُورَةُ المَعَارِج

أولاً: مناسبة سورة المعارج لسورة الحاقة:

هذه السورة كالتتمة لسورة الحاقة في وصف يوم القيامة والنار. [1]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة المعارج لخاتمتها:

بدأت بالوعد بوقوع عذاب الكافرين يوم القيامة، وختمت به: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ ٤٤. [2]

سُورَةُ نُوحٍ

أولاً: مناسبة سورة نوح لسورة المعارج:

تآخي مطلع السورتين في ذكر العذاب الموعود به الكافرين. [3]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة نوح لخاتمتها:

بدأت بالوعيد للكافرين: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ١، وختمت بعقابهم: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴾٢٥. [4]

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (١١١).

(٢) مراصد المطالع (٧٤).

(٣) أسرار ترتيب سور القرآن (١١٢).

(٤) مراصد المطالع (٧٥).

سُورَةُ المُزَّمِّل

أولاً: مناسبة سورة المزمل لسورة الجن:

لا يخفى وجه اتصال أول سورة المزمل: ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ ٢ بقوله في سورة الجن: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ﴾ ١٨-١٩.[١]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة المزمل لخاتمتها:

بدأت بالكلام عن قيام الليل، وختمت به. [٢]

سُورَةُ المُدَّثِّر

أولاً: مناسبة سورة المدثر لسورة المزمل:

متآخيتان في الافتتاح بخطاب النبي ﷺ، ومطلع كلتيهما نازل في قصة واحدة. وقد ذكر ابن عباس أن سورة المدثر نزلت عقب سورة المزمل. [٣]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة المدثر لخاتمتها:

بدأت بالحديث عن الإنذار، وختمت به في قوله تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ﴾ ٤٩. [٤]

---

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (١١٤).

(٢) مراصد المطالع (٧٥).

(٣) أسرار ترتيب سور القرآن (١١٥).

(٤) مراصد المطالع (٧٦).

سُورَةُ القِيَامَةِ

أولاً: مناسبة سورة القيامة لسورة المدثر:

الصلة بينهم تتجلى في الحديث عن القيامة وأهوالها وأحوال الناس في هذا اليوم العظيم في كلتا السورتين. (١)

ثانيًا: مناسبة بداية سورة القيامة لخاتمتها:

بدأت بذكر إحياء الموتى، وختمت به. (٢)

سُورَةُ الإِنسَانِ

أولاً: مناسبة سورة الإنسان لسورة القيامة:

وجه اتصالها في غاية الوضوح؛ فإنه تعالى ذكر في آخر سورة القيامة مبدأ خلق الإنسان من نطفة، وذكر مثل ذلك في مطلع سورة الإنسان. (٣)

ثانيًا: مناسبة بداية سورة الإنسان لخاتمتها:

بدأت بذكر الشاكر والكفور وختمت بهما: ﴿ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴾ ٣١. (٤)

* * * * * * *

---

(١) التفسير الموضوعي (٤٨٥/٨).

(٢) مراصد المطالع (٧٦).

(٣) أسرار ترتيب سور القرآن (١١٧).

(٤) مراصد المطالع (٧٦).

سورة المرسلات

أولاً: مناسبة سورة المرسلات لسورة الإنسان:

لما أخبر تعالى في خاتمة سورة الإنسان أنه: ﴿ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾٣١، افتتح سورة المرسلات بالقسم على أن ما يوعدون لواقع.[١]

ثانيًا: مناسبة بداية سورة المرسلات لخاتمتها:

في مطلع السورة تأكيد بالقسم على وقوع الساعة، وفي ختامها إنكار على المكذبين بها.[٢]

* * * * * * *

(١) أسرار ترتيب سور القرآن (١١٨).

(٢) التفسير الموضوعي (٥٣٨/٨).

سُورَةُ النَّبَأ

مناسبة سورة النبأ لسورة المرسلات:

١) تناسبهما في الجمل؛ ففي سورة المرسلات قال: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ١٦، ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ ٢٠، ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴾ ٢٥، وفي سورة النبأ قال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ﴾ ٦.[1]

٢) قال في سورة المرسلات: ﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴾ ١٢-١٤، وفي سورة النبأ: ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ۝١٧ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ ١٧-١٨ إلى آخره؛ فكأن سورة النبأ شرح ليوم الفصل المجمل في سورة المرسلات.[2]

* * * * * * *

(١) التفسير الموضوعي (٣/٧).

(٢) أسرار ترتيب سور القرآن (١١٩).

سُورَةُ عَبَسَ

مناسبة سورة عبس لسورة النازعات:

تآخيهما في المقطع؛ لقوله في سورة النازعات: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴾ ٣٤، وقوله في سورة عبس: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾ ٣٣، وهما من أسماء يوم القيامة. [1]

* * * * * * *

سُورَةُ البَلَدِ

مناسبة سورة البلد لسورة الفجر:

لما ذم الله ﷻ في سورة الفجر من أحب المال، ولم يحض على طعام المسكين، ذكر في سورة البلد الخصال التي تطلب من صاحب المال: من فك الرقبة، والإطعام في يوم ذي مسغبة. [2]

* * * * * * *

---

(١) السابق (١٢٠).

(٢) أسرار ترتيب سور القرآن (١٣٠).

سُورَةُ الشَّرْحِ

مناسبة سورة الشرح لسورة الضحى:

هي شديدة الاتصال بسورة الضحى؛ لتناسبهما في الجمل، ولهذا ذهب بعض السلف إلى أنهما سورة واحدة بلا بسملة بينهما؛ والذي دعاهم لذلك هو: أن قوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ الشرح:١، كالعطف على: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ الضحى:٦.[١]

* * * * * * *

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

مناسبة سورة التكاثر لسورة القارعة:

سورة التكاثر واقعة كالتعليل لسورة القارعة، كأنه لما قال في سورة القارعة: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ ٩ ، قيل: لِمَ ذلك؟ فقال: لأنكم: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ التكاثر:١.[٢]

* * * * * * *

---

(١) السابق (١٣٣).

(٢) أسرار ترتيب سور القرآن (١٤٢).

سُورَةُ قُرَيْشٍ

مناسبة سورة قريش لسورة الفيل:

هي شديدة الاتصال ببعض؛ لتعلق الجار والمجرور في أول سورة قريش بآخر سورة الفيل؛ ولهذا كانتا في مصحف أُبيٍّ رضي الله عنه سورة واحدة.[1]

* * * * * * *

سُورَةُ المَاعُونِ

مناسبة سورة الماعون لسورة قريش:

١) لما ذكر تعالى في سورة قريش: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ ﴾ ٤، ذكر هنا ذم من لم يحضَّ على طعام المسكين.[2]

٢) ولما قال في سورة قريش: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ ٣، ذكر هنا من سها عن صلاته.[3]

* * * * * * *

(١) السابق (١٤٤).

(٢) أسرار ترتيب سور القرآن (١٤٥).

(٣) السابق (١٤٥).

سُورَةُ الكَوْثَرِ

مناسبة الآيات:

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ ١-٢

لما ذكر الله منّته على نبيه، أمره بشكرها فقال ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾.[١]

سُورَةُ الكَافِرُونَ

مناسبة سورة الكافرون لسورة الكوثر:

وجه اتصالها بما قبلها: أنه تعالى لما قال في سورة الكوثر: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ ٢، أمره أن يخاطب الكافرين بأنه لا يعبد إلا ربه، ولا يعبد ما يعبدون، وبالغ في ذلك فكرَّر، وانفصل منهم على أن لهم دينهم وله دينه.[٢]

سُورَةُ النَّصْرِ

مناسبة سورة النصر لسورة الكافرون:

قال الإمام فخر الدين: كأنه تعالى يقول: لما أمرتك في السورة المتقدمة بمجاهدة جميع الكفار، بالتبري منهم، وإبطال دينهم، جزيتك على ذلك بالنصر والفتح، وتكثير الأتباع.[٣]

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٩٣٥).

(٢) أسرار ترتيب سور القرآن (١٤٧).

(٣) السابق (١٤٨).

المراجع

١) الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ.

٢) البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، دار إحياء الكتب العربية / الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ.

٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: محمود بن عمرو بن محمد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، دار الكتاب العربي/ الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

٤) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: الإمام فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بخطيب الري (ت ٦٠٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي/ الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

٥) البرهان في تناسب سور القرآن: أحمد بن إبراهيم الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب ١٤١٠هـ.

٦) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٧) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: الإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر بن البقاعي (ت ٨٨٥ هـ)، دار الكتاب الإسلامي.

٨) أسرار ترتيب سور القرآن: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، المكتبة العصرية ١٤٣١هـ.

٩) مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، دار المنهاج/ الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

١٠) فتح القدير: الإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير/ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٧ هـ)، دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

١٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ). مؤسسة الرسالة/الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

١٣) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣ هـ)، الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م.

١٤) موضوعات سور القرآن الكريم: عبد الحميد محمود طهماز (ت ١٤٣١هـ).

١٥) التفسير الموضوعي: أ.د. مصطفى مسلم وآخرين، جامعة الشارقة/ الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.

١٦) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي حفظه الله، دار الفكر العربي/ الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

١٧) مباحث في التفسير الموضوعي: أ.د مصطفى مسلم، دار القلم/ الطبعة الرابعة ١٤٢٦هـ.

* * * * * * *

الفهرس

تم بحمد الله